مجلة كلية الآداب بالوادي الجديد- مجلة علمية محكمة- إبريل ٢٠٢٣

أقوال الربيع بن خثيم في التفسير (جمعاً ودراسة)

د/ أميمة صفوت أبو السعود(*)

الملخص:

تأتي هذه الدراسة بعنوان: أقوال الربيع بن خثيم في التفسير (جمعاً ودراسة) من خلال مبحثين، يسبقهما مقدمة وتمهيد، أما المقدمة فتناولت من خلالها بيان أهمية الموضوع، والإشارة إلى الدراسات السابقة، وخطة البحث، وذكر المنهج المستخدم في هذه الدراسة.

وأما التمهيد، فعرضت من خلاله للتعريف بالربيع بن خثيم من حيث اسمه، وكنيته، ومن روى عنهم، ومن روى عنه، ووفاته. وأما المبحثان فهما على النحو التالي:

المبحث الأول بعنوان منهج الربيع بن خثيم في التفسير، تحدثت من خلاله عن منهجه في الفقه، والقراءات، وأسباب النزول، واللغة، والبلاغة، وكل ذلك من خلال بعض الأمثلة.

والمبحث الثاني بعنوان الأقوال التي ذكرها الربيع بن خثيم في التفسير، من خلال عدة مواضع، كما وردت في كتب التفسير، منسوبة للربيع.

ثم أعقبت ذلك بالخاتمة، التي بينت من خلالها أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال هذه الدراسة، بالإضافة إلى التوصيات، ثم ختمت بقائمة بالمصادر والمراجع التي اعتمدت عليها في إعداد هذه الدراسة.

هذا ويجب الإشارة، إلى أنني استخدمت في كل ذلك المنهج التحليلي والاستقرائي، والمقارن في كثير من المواضع كلما أمكن ذلك.

الكلمات المفتاحية: الربيع، أقوال، تفسير، قراءات، قرآن.

Abstract:

Sayings of Al-Rabi' bin Khathim on interpretation (collection and study)

This study comes under the title: Sayings of Al-Rabi' bin Khathim on interpretation (collection and study) through two sections, preceded by an introduction and a preface. As for the introduction, it deals with explaining the importance of the topic, referring to previous studies, the research plan, and mentioning the method used in this study.

As for the introduction, through it I presented an introduction to Al-Rabi' ibn Khathim in terms of his name, his nickname, those who narrated from them, those who narrated from him, and his death.

The two topics are as follows:

The first section is entitled Al-Rabi' bin Khathim's approach to interpretation, through which I talked about his approach to jurisprudence, readings, the reasons for revelation, language, and rhetoric, and all of that through some examples

(*) مدرس بقسم الدراسات الإسلامية– كلية الآداب جامعة المنيا

The second section is entitled the sayings mentioned by Al-Rabi' ibn Khathim in interpretation, through several places, as mentioned in the books of interpretation, attributed to Al-Rabi'. Then I followed that with a conclusion, in which I explained the most important results that I reached through this study, in addition to the recommendations. Then I concluded with a list of the sources and references that I relied on in preparing this study. It must be noted that I used the analytical, inductive, and comparative method in many places whenever possible.
key words : Al-Rabee' - sayings - interpretation - readings - Quran

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام الأكملان الأدومان المتلازمان على سيدنا محمد وعلى أله، حق قدره ومقداره العظيم.

وبعد ...

أهمية الموضوع:

لا ريب أن الربيع بن خثيم كان –رحمه الله– عالماً، برع في علوم كثيرة؛ كالقراءات، والتفسير، والحديث، والفقه، وغيرها من العلوم؛ التي أجاد فيها وأفاد– تُخبر بسعة علمه، وغزارة إنتاجه، وقوة حجته. وإن كان – رحمه الله – لم يترك لنا تفسيراً خاصاً به، وإنما جاءت أراؤه مبثوثة في تضاعيف التفاسير الأخرى.

لذلك حاولت من خلال هذا البحث أن أسهم ولو بشيء يسير، في جمع أقواله ودراستها، لكي نكشف عن شخصية ذي قدر كبير في كثير من العلوم والمعارف، لكي يحظى بالمكان والمكانة اللائقتين به في تراثنا الإسلامي.

ولعله من نافلة القول – في هذا السياق – الإشارة إلى أن محاولة الباحث جمع أراء مفسر أو فقيه أو محدث ... الخ – من خلال كتب التفسير، تكون بلا شك محاولة صعبة، إذا ما قورنت بالبحث في تفسير بعينه.

فالربيع – كما ذكرت – جاءت أقواله متناثرة في عدة تفاسير، فكان لزاماً على الباحث أن يطلع على هذه التفاسير، حتى يظفر بأقوال الربيع، فيجمعها ثم يصنفها.

الدراسات السابقة:

جدير بالذكر أنني بعد البحث والتقصي لم أعثر على دراسات تتناول أقوال أو أراء الربيع بن خثيم سوى رسالة بعنوان: الربيع بن خثيم ومنهجه في الدعوة إلى الله. لمحمد بن عبد الله بن سعيد الصاعدي – رسالة ماجستير –جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – كلية الدعوة بالمدينة المنورة– سنة ١٩٩٢م.

مجلة كلية الآداب بالوادي الجديد- مجلة علمية محكمة- إبريل ٢٠٢٣

خطة البحث:

تأتي هذه الدراسة في مبحثين، يسبقهما مقدمة وتمهيد، أما المقدمة فتناولت من خلالها بيان أهمية الموضوع، والإشارة إلى الدراسات السابقة، وخطة البحث، وذكر المنهج المستخدم في هذه الدراسة. وأما التمهيد، فعرضت من خلاله للتعريف بالربيع بن خثيم من حيث اسمه، وكنيته، ومن روى عنهم، ومن روى عنه، ووفاته، وأما المبحثان فهما على النحو التالي:

المبحث الأول بعنوان منهج الربيع بن خثيم في التفسير، تحدثت من خلاله عن منهجه في الفقه، والقراءات، وأسباب النزول، واللغة، والبلاغة، وكل ذلك من خلال بعض الأمثلة.

والمبحث الثاني بعنوان الأقوال التي ذكرها الربيع بن خثيم في التفسير، من خلال عدة مواضع، كما وردت في كتب التفسير، منسوبة للربيع.

ثم أعقبت ذلك بالخاتمة، التي بينت من خلالها أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال هذه الدراسة، بالإضافة إلى التوصيات، ثم ختمت بقائمة بالمصادر والمراجع التي اعتمدت عليها في إعداد هذه الدراسة.

هذا ويجب الإشارة، إلى أنني استخدمت في كل ذلك المنهج التحليلي والاستقرائي، والمقارن في كثير من المواضع كلما أمكن ذلك.

والله أسأل أن يكون عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم، وإن كان ثمة نقص، فيكفيني أجر المجتهد إذا أخطأ.

تمهيد

ونعرض من خلاله للتعريف بالربيع بن خثيم من حيث اسمه، وكنيته، ومن روى عنهم، ومن روى عنه، ووفاته.

اسمه:

الرَّبِيعُ بْنُ خُثَيْمٍ – بضم المعجمة وفتح المثلثة –الثَّوْرِيُّ، من بني ثعلبة بن عامر بن ملكان بن ثور بن عبد مناة بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر ابن عائذ ابن عبد الله، ثقة عابد مخضرم تابعي جليل [١].

كنيته:

وكان الربيع بن خثيم يكنى بأبي يزيد.[٢] ، وقيل يكنى بأبي عبد الله [٣] .

ولادته:

جدير بالذكر، أن المصادر والمراجع – سيما الخاصة بالتراجم والسير – لم تذكر تاريخ مولده، وإنما ذكرت تاريخ وفاته.

من روى عنهم:

روى عن عَبْدِ اللهِ بنِ مَسْعُوْدٍ، وعمرو بن ميمون الأودي، وعبد الرحمن بن أبي ليلى، وَأَبِي أَيُّوْبَ الأَنْصَارِيِّ [٤]، وَهُوَ قَلِيْلُ الرِّوَايَةِ، إِلاَّ أَنَّهُ كَبِيْرُ الشَّأْنِ. [٥]

من روى عنه:

روى عنه هلال بن يساف، وأبو عمرو عامر بن شراحيل الشعبي، وأبو عمران إبراهيم بن زيد النخعي، ومنذر الثوري أبو يعلى، وكثير بن مره، وبكر بن ماعز، وسعيد بن مسروق، وهلال بن مينا، وإبراهيم النخعي، ونسير بن ذعلوق، وَهُبَيْرَةُ بنُ خُزَيْمَةَ [٦] .

---

(١) انظر ترجمته في: الطبقات الكبير لابن سعد :٣٠٢/٨ – 303، سير السلف الصالحين: ص 362، بغية الطلب في تاريخ حلب: 3565/٨، سير أعلام النبلاء:258/٤، تاريخ الإسلام: ص 115، البداية والنهاية :2171/٨، غاية النهاية :١ / 257، تقريب التهذيب: ص 319، تهذيب التهذيب :٢٤٢/٣

(٢)انظر: الطبقات الكبير لابن سعد :303/٨، سير السلف الصالحين: ص 362، صفة الصفوة: ص ٥٤٢، بغية الطلب في تاريخ حلب: 3565/٨، سير أعلام النبلاء:258/٤، تاريخ الإسلام: ص 115، البداية والنهاية :2171/٨، غاية النهاية :257/١، تقريب التهذيب :ص ٣١٩، تهذيب التهذيب :٢٤٢/٣

(٣)بغية الطلب في تاريخ حلب: ٣٥٦٥/٨

(٤)انظر: الطبقات الكبير لابن سعد :٣٠٣/٨ ، بغية الطلب في تاريخ حلب : ٣٥٦٥/٨،سير أعلام النبلاء:٢٥٨/٤،تاريخ الإسلام :ص ١١٥ ، ،غاية النهاية :٢٥٧/١، تهذيب التهذيب : ٢٤٢/٣

(٥) سير أعلام النبلاء: ٢٥٨/٤

(٦) انظر: بغية الطلب في تاريخ حلب: 3565/٨، سير أعلام النبلاء:258/٤، تاريخ الإسلام: ص 115، تهذيب التهذيب :٢٤٢/٣

وفاته:

مات في ولاية عبيد الله بن زياد، سنة إحدى وقيل ثلاث وستين [١] .

المبحث الأول: منهج الربيع ابن خثيم في التفسير

من خلال جمع أقوال الربيع بن خثيم المتناثرة في كتب التفسير، نستطيع القول بأن منهجه في تفسير القرآن الكريم يتجلى في العناصر التالية:

أولاً: اعتماده على الفقه في تفسير الآيات

ومثال ذلك قال تعالى: { كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ } [٢] .

بادئ ذي بدء لا بد أن نشير إلى أن ثم اختلافاً بين العلماء في تفسير هذه الآية، فقال فريق: محكمة ظاهرها العموم ومعناها الخصوص في الوالدين اللذين لا يرثان كالكافرين والعبدين، وفي القرابة غير الوارثة، وقال ابن عباس والحسن وقتادة: الآية عامة وتقرر الحكم بها برهة ، ونسخ منها كل من يرث بآية الفرائض[٣] ، وفي هذه العبارة يدخل قول ابن عباس والحسن وغيرهما إنه نسخ منها الوالدان وثبت الأقربون الذين لا يرثون، وبين أن آية الفرائض في سورة النساء ناسخة، لهذا الحديث المتواتر: «إن الله قد أعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث» . [٤]

وقال ابن عمر وابن عباس أيضا وابن زيد: الآية كلها منسوخة وبقيت الوصية ندباً، ونحو هذا قول مالك رحمه الله، وقال الربيع بن خثيم وغيره: لا وصية لوارث، وقال عروة بن ثابت للربيع بن خثيم: أوص لي بمصحفك، فنظر الربيع إلى ولده وقرأ: {**وَأُوْلُواْ** ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ} [٥] ، ونحو هذا صنع ابن عمر رضي الله عنه. [٦]

---

(١) انظر: سير السلف الصالحين: ص ٣٦٢، تاريخ الإسلام :ص ١١٥، غاية النهاية :257/١، تقريب التهذيب :ص ٣١٩، تهذيب التهذيب :٢٤٢/٣

(٢)سورة البقرة: الآية180

(٣)آية الفرائض قال تعالى: { يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۚ فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ ۖ وَإِن كَانَتْ وَٰحِدَةً فَلَهَا ٱلنِّصْفُ ۚ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٌ ۚ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ ۚ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۗ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا ۚ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا } سورة النِّسَاء : الآية ١١

(٤)أخرجه الترمذي – سنن الترمذي – أبواب الوصايا – باب ما جاء لا وصية لوارث ٦٢٠/٣– ٦٢١ –جزء من حديث رقم ٢١٢٠عن أبي أمامه الباهلي، قال الترمذي: وهو حديث حسن.

(٥)سورة الأحزاب: من الآية ٦

(٦)المحرر الوجيز: 248/١، وانظر :تفسير القرطبي :٣/ ٩٩– ١٠١

ومثال آخر ما ذكره عند تفسير قوله تعالى : { حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ } [١]

حدثنا أحمد بن إسحاق، قال: ثنا أبو أحمد، عن قيس بن الربيع، عن نسير بن ذعلوق، عن أبي فطيمة، قال: "سألت الربيع بن خيثم عن الصلاة الوسطى، قال: أرأيت إن علمتها كنت محافظاً عليها ومضيعاً سائرهن؟ قلت: لا. فقال: فإنك إن حافظت عليهن فقد حافظت عليها"[٢] .

وقد ذكر الربيع بن خثيم تفسير الصلاة الوسطى في مواضع أخرى حيث ذكر: وقالت فرقة: الصَّلاةِ الْوُسْطى لم يعينها الله تعالى لنا، فهي في جملة الخمس غير معينة، كليلة القدر في ليالي العشر، فعل الله ذلك لتقع المحافظة على الجميع، قاله نافع عن ابن عمر وقاله الربيع بن خثيم. [٣]

أي أن الربيع بن خثيم لم يعين صلاة محددة للصلاة الوسطى، بل أرادها عامة تشمل جميع الصلوات، حتى يحافظ المسلم على أداء الصلوات جميعا، ليظفر بفضل الصلاة الوسطى، مثله في ذلك كمن اجتهد في العشر الأواخر جميعها، ليفوز بليلة القدر في إحداها.

ثانياً القراءات

نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر، مع الإشارة إلى أننا سنذكر ذلك بالتفصيل في مبحث أقوال الربيع بن خثيم في التفسير.

ومثال ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى: {فَرَوۡحٞ وَرَيۡحَانٞ وَجَنَّتُ نَعِيمٖ }[٤].

نقل النيسابوري قراءة قوله تعالى: {فَرَوْحٌ} عن الربيع بن خثيم وغيره فَرَوْحٌ: راحة وبرد وفي قراءة النّبيّ صلى الله عليه وسلم برواية عائشة، وقراءة ابن عباس، والحسن، وقتادة، والضحاك، والأشهب، ونوح القاري، وبديل، وشعيب بن الحربي، وسليمان التيمي، والربيع بن خثيم، وأبي عمران الجوني، وأبي جعفر محمد بن علي، والفيّاض، (فروح) بضم الراء، أي: حياة لا موت بعدها.[٥]

---

(١)سورة البقرة: الآية ٢٣٨

(٢) تفسير الطبري :٣٧١/٤- ٣٧٢

(٣)المحرر الوجيز: ٣٢٣/١، تفسير القرطبي: ١٨١/٤، وانظر: النكت والعيون: ٣٠٩/١

(٤) سورة الواقعة: الآية ٨٩

(٥) إيجاز البيان عن معاني القرآن: ٨٠١/٢ -٨٠٢، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها :٣١٠/٢، والحديث أخرجه الترمذي – سنن الترمذي – أبواب القراءات – باب "ومن سورة الواقعة " ٥٥/٥ –حديث رقم ٢٩٣٨– وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث هارون الأعور، والحاكم – المستدرك على الصحيحين– كتاب التفسير ٢٨٢/٢– حديث رقم ٢٩٨٣، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه

ثالثاً: أسباب النزول

قال تعالى: { إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا }[١] .

حدثنا ابن وكيع ، قال: ثنا جرير ، عن الأعمش ، عن منذر الثوري ، عن الربيع بن خثيم ، في قوله: :{ إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ} قال: أوحي إليك كما أوحي إلى جميع النبيين من قبله ، وذكر أن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ لأن بعض اليهود لما فضحهم الله بالآيات التي أنزلها على رسوله صلى الله عليه وسلم ، وذلك من قوله: { يَسۡـَٔلُكَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيۡهِمۡ كِتَٰبٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِۚ }[٢] ، فتلا ذلك عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالوا: ما أنزل الله على بشر من شيء بعد موسى؛ فأنزل الله هذه الآيات تكذيباً لهم ، وأخبر نبيه والمؤمنين به أنه قد أنزل عليه بعد موسى وعلى من سماهم في هذه الآية وعلى آخرين لم يسمهم.[٣]

رابعاً اللغة:

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى: { وَهُوَ ٱلَّذِي يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِۚ وَلَهُ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ } . [٤]

نقل البغوي، والقرطبي ، وابن كثير عن الربيع بن خثيم وَ" أَهْوَنُ" بِمَعْنَى هَيِّنٍ، أَيِ الْإِعَادَةُ هَيِّنٌ عَلَيْهِ، قَالَهُ الرَّبِيعُ بْنُ خُثَيْمٍ وَالْحَسَنُ. فَأَهْوَنُ بمعنى هين، لأنه ليس شيء أهون على الله من شيء.[٥]

خامساً البلاغة:

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى: {يُؤۡتِي ٱلۡحِكۡمَةَ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا كَثِيرٗاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ }[٦] .

---

(١) سورة النساء: الآية ١٦٣

(٢) سورة النساء :من الآية ١٥٣

(٣) تفسير الطبري: ٦٨٥/٧ –٦٨٦

(٤) سورة الروم: الآية٢٧

(٥) تفسير البغوي :٢٦٧/٦، تفسير القرطبي :١٦/ ٤١٧، تفسير ابن كثير :٣١٢/٦

(٦) سورة البقرة: الآية ٢٦٩

نقل السمين الحلبي، وابن عادل قراءة الربيع بن خثيم حيث قالا: قرأ الربيع بن خيثم: تؤتي الحكمة ومن تؤت الحكمة بالتاء على الخطاب فيهما، وهو خطابٌ للباري؛ على الالتفاتِ. (١)

المبحث الثاني: الأقوال التي ذكرها الربيع بن خثيم في التفسير

الموضع الأول: بيان الأقوال الواردة في الحروف المقطعة التي في أوائل السور

نقل القرطبي عن الربيع بن خثيم قوله في الحروف المقطعة التي في أوائل السور حيث قال: قال الربيع بن خثيم: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَنْزَلَ هَذَا الْقُرْآنَ، فَاسْتَأْثَرَ مِنْهُ بِعِلْمِ مَا شَاءَ، وَأَطْلَعَكُمْ عَلَى مَا شَاءَ، فَأَمَّا مَا اسْتَأْثَرَ بِهِ لِنَفْسِهِ، فَلَسْتُمْ بِنَائِلِيهِ، فَلَا تَسْأَلُوا عَنْهُ، وَأَمَّا الَّذِي أَطْلَعَكُمْ عَلَيْهِ، فَهُوَ الَّذِي تَسْأَلُونَ عَنْهُ وَتُخْبَرُونَ بِهِ، وَمَا بِكُلِ الْقُرْآنِ تَعْلَمُونَ، وَلَا بِكُلِ مَا تَعْلَمُونَ تَعْمَلُونَ.(٢)

وقد ذكر الطبري روايات في الحروف المقطعة حيث قال: اختلفت تراجمة القرآن في تأويل قول الله تعالى ذكره: { الٓمٓ }، عن قتادة ومجاهد وابن جريح: هو اسم من أسماء القرآن ، عن مجاهد: بأن الحروف المقطعة فواتح يفتح الله بها القرآن ، وقال بعضهم: فقال بعضهم هي اسم للسورة، عن ابن عباس –رضي الله عنه –: هو اسم الله الأعظم".

وعن ابن عباس عن الشعبي، قال: «فواتح السور من أسماء الله» وقال بعضهم: هو قسم أقسم الله به، وهو من أسمائه.

وقال بعضهم: هو حروف مقطعة من أسماء وأفعال، كل حرف من ذلك لمعنى غير معنى الحرف الآخر.

وعن ابن عباس وسعيد بن جبير، قال: قوله: " { الٓمٓ } قال: أنا الله أعلم . وعن ابن عباس أيضا، وعن مرة الهمداني، عن ابن مسعود، وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم: " { الٓمٓ } فهو حروف اشتق من حروف هجاء أسماء الله جل ثناؤه "

وعن مجاهد، قال:" فواتح السور كلها {ق} و {ص} و {حم} و {طسم} و {الر} وغير ذلك، هجاء موضوع " وقال بعضهم: هي حروف يشتمل كل حرف منها على معان شتى مختلفة.

---

(١) الدر المصون : ٦٠٤/٢– ٦٠٥، اللباب في علوم الكتاب : ٤١٨/٤ ، الالتفات لغة : واللفت: اللي. ولفته يلفته لفتا: لواه على غير جهته؛ وقيل: اللي هو أن ترمي به إلى جانبك. ولفته عن الشيء يلفته لفتا: صرفه. الفراء في قوله، عز وجل: أجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا؟
:اللفت: الصرف؛ يقال: ما لفتك عن فلان أي ما صرفك عنه؟ واللفت: لي الشيء عن جهته، كما تقبض على عنق إنسان فتلفته؛ وأنشد
ولفتن لفتات لهن خضاد ،ولفت فلانا عن رأيه أي صرفته عنه، ومنه الالتفات. لسان العرب :٨٤/٢ مادة لفت
الالتفات اصطلاحاً : هو الانتقال بالأسلوب من صيغة التكلم أو الخطاب أو الغيبة إلى صيغة أخرى من هذه الصيغ، بشرط أن يكون الضمير في المنتقل إليه عائداً في نفس الأمر إلى الملتفت عنه ، بمعنى أن يعود الضمير الثاني على نفس الشئ الذي عاد إليه الضمير الأول . فن البلاغة : دكتور عبدالقادر حسين ص ٢٨٠
(٢) تفسير القرطبي: ٢٣٧/١ -٢٣٨

وعن الربيع بن أنس في قول الله تعالى ذكره: " { الٓمٓ } ، [١] قال: هذه الأحرف من التسعة والعشرين حرفا، دارت فيها الألسن كلها، ليس منها حرف إلا وهو مفتاح اسم من أسمائه، وليس منها حرف إلا وهو في آلائه وبلائه، وليس منها حرف إلا وهو في مدة قوم وآجالهم.[٢]

قال الطبري: والصواب عندي من القول في تأويل مفاتح السور التي هي حروف المعجم، أن الله جل ثناؤه جعلها حروفا مقطعة، ولم يصل بعضها ببعض فيجعلها كسائر الكلام المتصل الحروف؛ لأنه عز ذكره أراد بلفظه الدلالة بكل حرف منه على معان كثيرة، لا على معنى واحد، كما قال الربيع بن أنس، وإن كان الربيع قد اقتصر به على معان ثلاثة دون ما زاد عليها. والصواب في تأويل ذلك عندي– كما يذهب الطبري – أن كل حرف منه يحوي ما قاله الربيع وما قاله سائر المفسرين غيره فيه، سوى ما ذكرت من القول عمن ذكرت عنه من أهل العربية أنه كان يوجه تأويل ذلك إلى أنه حروف هجاء، استغنى بذكر ما ذكر منه في مفاتح السور عن ذكر تتمة الثمانية والعشرين حرفاً من حروف المعجم، بتأويل: أن هذه الحروف {ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ }[٣]، مجموعة {لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ}[٤]، فإنه قول خطأ فاسد، لخروجه عن أقوال جميع الصحابة والتابعين، ومن بعدهم من الخالفين من أهل التفسير والتأويل [٥].

وقال ابن عطية: اختلف في الحروف التي في أوائل السور على قولين:

قال الشعبي عامر بن شراحي، وسفيان الثوري، وجماعة من المحدثين: «هي سرّ الله في القرآن، وهي من المتشابه الذي انفرد الله بعلمه، ولا يجب أن يتكلم فيها، ولكن يؤمن بها وتمرّ كما جاءت».[٦] وهذا الرأي قريب لما قاله الربيع بن أنس .

وقال الجمهور من العلماء: «بل يجب أن يتكلم فيها وتلتمس الفوائد التي تحتها والمعاني التي تتخرج عليها»

ويرجح القاضي أبو محمد رأي الجمهور حيث قال: والصواب ما قاله الجمهور أن تفسر هذه الحروف ويلتمس لها التأويل؛ لأنا نجد العرب قد تكلمت بالحروف المقطعة نظماً لها ووضعاً [٧].

اذن ثمة خلاف حول هذه الحروف من حيث تفسيرها أو بيان معناها، لكن الربيع بن خثيم يري أن

---

(١) سورة البقرة: الآية١

(٢) انظر تفسير الطبري: ١/٢٠٤-٢٠٩

(٣) سورة البقرة: من الآية٢

(٤) سورة البقرة: من الآية٢

(٥) تفسير الطبري: ١/ ٢٢٣

(٦) المحرر الوجيز: ١/٨١-٨٢

(٧) المرجع السابق :١ /٨٢

الأسلم تفويض المعنى لله سبحانه وتعالى، فهو مما استأثر الله سبحانه بعلمه، ومن ثم لا يجب الخوض في تفسيرها أو تأويلها، وهذا هو الأصوب والأسلم في رأيه.

ولعله من نافلة القول، أن ما ذكره الربيع بن خثيم هو نفس أو قريب مما ذكره القرطبي حيث قال : اخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي الْحُرُوفِ الَّتِي فِي أوائل السور، فَقَالَ عَامِرٌ، الشَّعْبِيُّ، وَسُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ، وَجَمَاعَةٌ مِنَ الْمُحَدِّثِينَ: هِيَ سِرُّ اللَّهِ فِي الْقُرْآنِ، وَلِلَّهِ فِي كُلِّ كِتَابٍ مِنْ كُتُبِهِ سِرٌّ، فَهِيَ مِنَ الْمُتَشَابِهِ الَّذِي انْفَرَدَ اللَّهُ تَعَالَى بِعِلْمِهِ، وَلَا يَجِبُ أَنْ يُتَكَلَّمَ فِيهَا، وَلَكِنْ نُؤْمِنُ بِهَا، وَنَقْرَأُ كَمَا جَاءَتْ. وَرُوِيَ هَذَا الْقَوْلُ عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ وعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. وَذَكَرَ أَبُو اللَّيْثِ السَّمَرْقَنْدِيُّ عَنْ عُمَرَ، وَعُثْمَانَ، وَابْنِ مَسْعُودٍ، أَنَّهُمْ قَالُوا: الْحُرُوفُ الْمُقَطَّعَةُ مِنَ الْمَكْتُومِ الَّذِي لَا يُفَسَّرُ. وَقَالَ أَبُو حَاتِمٍ: لَمْ نَجِدِ الْحُرُوفَ الْمُقَطَّعَةَ فِي الْقُرْآنِ إِلَّا فِي أَوَائِلِ السور، ولا ندري ما أراد الله عز وجل بِهَا.[١]

الموضع الثاني

قال تعالى: {وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ}. [٢]

نقل الثعلبي، وابن عطية، والقرطبي، وابن كثير عن الربيع بن خثيم حيث قالوا: قال الربيع بن خثيم: «علمه أسماء الملائكة فقط».[٣]

قال الطبري: اختلف أهل التأويل في الأسماء التي علمها آدم ثم عرضها على الملائكة:

فقال ابن عباس بما حدثنا به أبو كريب، قال: حدثنا عثمان بن سعيد، قال حدثنا بشر بن عمارة، عن أبي روق، عن الضحاك، عن ابن عباس، قال علم الله آدم الأسماء كلها، وهي هذه الأسماء التي يتعارف بها الناس، إنسان، ودابة، وأرض، وسهل، وبحر، وجبل، وحمار، وأشباه ذلك من الأمم وغيرها "[٤] ونقله ابن عطية، والقرطبي عن القتبي حيث قال: أن الله علمه أسماء ما خلق في الأرض [٥] .

وقيل: علّم الله آدم عليه السّلام صنعة كل شيء.[٦] ونقل ابن عطية وابن كثير عن حميد الشامي: «علمه أسماء النجوم فقط.«[٧] وقيل: عَلَّمَهُ أَسْمَاءَ ذُرِّيَّتِهِ.[٨]

---

(١) تفسير القرطبي :٢٣٧/١

(٢) سورة البقرة: الآية ٣١

(٣) تفسير الثعلبي:177/١، المحرر الوجيز :١١٩/١، تفسير القرطبي :٤٢١/١، تفسير ابن كثير :٢٢٣/١

(٤) تفسير الطبري: ٥١٤/١

(٥) المحرر الوجيز: 120/١، تفسير القرطبي: ٤٢١/١

(٦) تفسير الثعلبي: ١٧٨/١

(٧) المحرر الوجيز :119/١، وانظر :تفسير ابن كثير: ٢٢٣/١

(٨) تفسير الطبري: ١/ 517، المحرر الوجيز: 120/١، تفسير القرطبي 421/١، عن ابن زيد

وقال آخرون: «علمه أسماء الأجناس، كالجبال والخيل والأودية ونحو ذلك، دون أن يعين ما سمته ذريته منها.«[١] وقال قوم: علمه الأسماء بلغة واحدة، ثم وقع الاصطلاح من ذريته فيما سواها.

وقال بعضهم: «بل علمه الأسماء بكل لغة تكلمت بها ذريته»، وقد غلا قوم في هذا المعنى حتى حكى ابن جني عن أبي علي الفارسي أنه قال: «علم الله تعالى آدم كل شيء، حتى إنه كان يحسن من النحو مثل ما أحسن سيبويه»، ونحو هذا من القول الذي هو بين الخطأ من جهات. وقال أكثر العلماء: «علمه تعالى منافع كل شيء ولما يصلح».

وقال قوم: «عرض عليه الأشخاص عند التعليم»، وقال آخرون: «بل وصفها له دون عرض أشخاص». قال القاضي أبو محمد رحمه الله: وهذه كلها احتمالات، قال الناس بها.[٢]

وعَنْ قَتَادَةَ قَالَ: عُلِّمَ آدَمُ مِنَ الْأَسْمَاءِ أَسْمَاءِ خَلْقِهِ ما لم يعلم الملائكة، وسمي كل شيء باسمه وأنحى منفعة كل شيء إِلَى جِنْسِهِ. ورجح النَّحَّاسُ هذا الرأي حيث قال: وَهَذَا أَحْسَنُ مَا رُوِيَ فِي هَذَا. وَالْمَعْنَى: عَلَّمَهُ أَسْمَاءَ الْأَجْنَاسِ وَعَرَّفَهُ مَنَافِعَهَا، هَذَا كَذَا، وَهُوَ يَصْلُحُ لِكَذَا.[٣]

وقد رجح الطبري بأنه علمه أسماء ذريته وأسماء الملائكة حيث قال: وأولى هذه الأقوال بالصواب وأشبهها بما دل على صحته ظاهر التلاوة، قول من قال في قوله: {وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا} إنها أسماء ذريته وأسماء الملائكة، دون أسماء سائر أجناس الخلق؛ وذلك أن الله جل ثناؤه قال: {ثُمَّ عَرَضَهُمۡ عَلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ}[٤] .

لكن استدرك ابن كثير على الطبري حيث قال: وَهَذَا الَّذِي رَجَّحَ بِهِ لَيْسَ بِلَازِمٍ، فَإِنَّهُ لَا يَنْفِي أَنْ يَدْخُلَ مَعَهُمْ غَيْرُهُمْ، وَيُعَبَّرَ عَنِ الْجَمِيعِ بِصِيغَةِ مَنْ يَعْقِلُ لِلتَّغْلِيبِ. كَمَا قَالَ: {وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٖ مِّن مَّآءٖۖ فَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰ بَطۡنِهِۦۖ وَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰ رِجۡلَيۡنِ وَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰٓ أَرۡبَعٖۚ يَخۡلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ}.[٥]

وقال ابن كثير: والصَّحِيحُ أَنَّهُ عَلَّمَهُ أَسْمَاءَ الْأَشْيَاءِ كُلِّهَا: ذَوَاتَهَا وَأَفْعَالَهَا؛ يَعْنِي أَسْمَاءَ الذَّوَاتِ وَالْأَفْعَالِ الْمُكَبَّرُ وَالْمُصَغَّرُ؛ وَلِهَذَا قَالَ الْبُخَارِيُّ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ مِنْ كِتَابِ التَّفْسِيرِ مِنْ صَحِيحِهِ: حَدَّثَنَا مُسْلِمُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، حَدَّثَنَا هِشَامٌ، حَدَّثَنَا قَتَادَةُ، عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال- وَقَالَ لِي خَلِيفَةُ: حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْع، حَدَّثَنَا سَعِيدٌ، عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَنَسٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ -: "يَجْتَمِعُ

(١) المحرر الوجيز: ١٢٠/١، وانظر :تفسير القرطبي: ٤٢١/١

(٢) المحرر الوجيز: ١٢٠/١

(٣) تفسير القرطبي: ٤٢١/١

(٤) تفسير الطبري: ٥١٨/١

(٥) سورة النور: الآية ٤٥

الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَقُولُونَ: لَوِ اسْتَشْفَعْنَا إِلَى رَبِّنَا؟ فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ: أَنْتَ أَبُو النَّاسِ، خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ، وَأَسْجَدَ لَكَ مَلَائِكَتَهُ، وَعَلَّمَكَ أَسْمَاءَ كُلِّ شَيْءٍ، فَاشْفَعْ لَنَا عِنْدَ رَبِّكَ حَتَّى يُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا هَذَا، فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، ويذكر ذنبه فيستحي؛ ائْتُوا نُوحًا فَإِنَّهُ أَوَّلُ رَسُولٍ بَعَثَهُ اللَّهُ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ، فَيَأْتُونَهُ فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُم. (١)

مما سبق، نستطيع القول أن ما ذهب إليه الربيع بن خثيم لم يقل به أحد ممن ذكرنا على النحو السابق، أي أنه انفرد برأي لم يبرهن عليه بدليل أو برهان، ولعل هذا ما يجعل رأيه – في نظري – ضعيفاً، اذا قورن بما ذكره الآخرون على الوجه السابق، سيما وأن قوله تعالى: (الأسماء) يحتمل أن يشمل أكثر من معنى، وليس حصراً في وجه واحد، كما ذهب الربيع في قصره على أسماء الملائكة فقط.

الموضع الثالث

قال تعالى: {بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ}. (٢)

نقل الطبري، وابن أبي حاتم، وابن كثير، والشوكاني عن الربيع بن خثيم: " في قوله تعالى: {وأحاطت به خطيئته} قال: هو الذي يموت على خطيئته، قبل أن يتوب "(٣) ونقل السمرقندي في بحر العلوم قولاً آخر عن الربيع بن خثيم حيث قال: وقال الربيع بن خثيم: { وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ }الذين يموتون على الشرك.(٤)

ومعنى {وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ} اجتمعت عليه فمات عليها قبل الإنابة والتوبة منها: وأصل الإحاطة الاحداق به، بمنزلة الحائط الذي تحاط به الدار فتحدق به، ومنه قول الله جل ثناؤه: {نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَآ}(٥) . فتأويل الآية إذاً: من أشرك بالله واقترف ذنوباً جمة فمات عليها قبل الإنابة والتوبة، فأولئك أصحاب النار هم فيها مخلدون أبدا. وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك، قال المتأولون، ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن يمان، عن سفيان، عن الأعمش، عن أبي رزين، عن الضحاك: " {وأحاطت به خطيئته} قال: مات بذنبه. (٦)

وقيل: " {وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ } قال: أما الخطيئة فالكبيرة الموجبة لأهلها النار(٧)،

(١) تفسير ابن كثير: 223/١، والحديث أخرجه البخاري – صحيح البخاري – كتاب تفسير القرآن – بَابُ قَوْلِ اللَّهِ: {وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا} ١٧/٦ جزء من حديث رقم ٤٤٧٦

(٢) سورة البقرة: الآية٨١

(٣) تفسير الطبري :١٨٤/٢- 185، تفسير ابن أبي حاتم: 158/١، تفسير ابن كثير: ٣١٥/١، فتح القدير: ص ٧٢

(٤) بحر العلوم: ١٣٣/١

(٥) سورة الكهف: من الآية :٢٩

(٦) تفسير الطبري: ١٨٢/٢

(٧)فتح القدير: ص72، وانظر: الطبري: ١٨٣/٢، تفسير ابن أبي حاتم: ١٥٩/١، تفسير ابن كثير: ٣١٥/١

وقيل: { وَأَحۡطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ } " مات على الشرك . [١]

وَأَحاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ أي استولت عليه، وشملت جملة أحواله حتى صار كالمحاط بها لا يخلو عنها شيء من جوانبه، وهذا إنما يصح في شأن الكافر؛ لأن غيره وإن لم يكن له سوى تصديق قلبه وإقرار لسانه فلم تحط الخطيئة به، ولذلك فسرها السلف بالكفر. وتحقيق ذلك: أن من أذنب ذنباً ولم يقلع عنه استجره إلى معاودة مثله والانهماك فيه وارتكاب ما هو أكبر منه، حتى تستولي عليه الذنوب وتأخذ بمجامع قلبه فيصير بطبعه مائلاً إلى المعاصي، مستحسناً إياها معتقداً أن لا لذة سواها، مبغضاً لمن يمنعه عنها مكذباً لمن ينصحه فيها، كما قال الله تعالى: {ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ }[٢] . وقرأ نافع" خطيئاته".

وقرئ «خطيته» و «خطياته» على القلب والإدغام فيهما. فَأُولئِكَ أَصْحابُ النَّارِ ملازموها في الآخرة كما أنهم ملازمون أسبابها في الدنيا { هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ } [٣] دائمون، أو لابثون لبثاً طويلاً. والآية كما ترى لا حجة فيها على خلود صاحب الكبيرة وكذا التي قبلها. [٤]

وقيل: أحاطت به أي أهلكته خطيئته وأحبطت ثواب طاعته، فعلى مذهب أهل السنة يتعين تفسير السيئة والخطيئة في هذه الآية بالكفر والشرك لقوله تعالى: { فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ } ؛ فإن الخلود في النار هو للكفار والمشركين.[٥]

مما سبق نستنتج أن ما قاله الربيع بن خثيم يتفق أو قريب مما ذكره كثير من المفسرين على النحو السابق.

الموضع الرابع

قال تعالى: {كُتِبَ عَلَيۡكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ إِن تَرَكَ خَيۡرًا ٱلۡوَصِيَّةُ لِلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ بِٱلۡمَعۡرُوفِۖ حَقًّا عَلَى ٱلۡمُتَّقِينَ}.[٦]

(١) بحر العلوم: 133/١، تفسير الخازن: 57/١، فتح القدير: ص ٧٢

(٢) سورة الروم: من الآية ١٠

(٣) سورة البقرة: من الآية ٨١

(٤) تفسير البيضاوي: ٩٠/١

(٥) تفسير الخازن: ٥٧/١

(٦) سورة البقرة: الآية ١٨٠

قال الربيع بن خثيم وغيره فيما نقله ابن عطية، والقرطبي- في الوصية: لا وصية لوارث، وقال عروة بن ثابت للربيع بن خثيم: أوص لي بمصحفك، فنظر الربيع إلى ولده وقرأ: {وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ}. ونحو هذا صنع ابن عمر –رضي الله عنه. (١)

وقال بعضهم: الوصية واجبة على كل مسلم؛ لأن الله تعالى قال: {كُتِبَ عَلَيْكُمْ}، أي فرض عليكم الوصية. وروي عن ابن عمر، عن رسول الله- صلى الله عليه وسلم – أنه قال: «مَا حَقُّ امرئ مُسْلِمٍ يَبِيتُ لَيْلَةً وَعِنْدَهُ مَالٌ يُوَصِي بِهِ، إلاَّ وَوَصِيَّتُهُ مَكْتُوبَةٌ عِنْدَه». (٢) وقال بعضهم: هي مباحة وليست بواجبة. وقد روي عن الشعبي أنه قال: الوصية ليست بواجبة فمن شاء أوصى ومن شاء لم يوص. وقال إبراهيم النخعي: مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يوص، وقد أوصى أبو بكر- رضي الله عنه- فإن أوصى فحسن، وإن لم يوص فليس عليه شيء. وقال بعضهم: إن كان عليه حج أو كفارة أي شيء من الكفارات فالوصية واجبة، وإن لم يكن عليه شيء من الواجبات فهو بالخيار إن شاء أوصى وإن شاء لم يوص. وبهذا القول نأخذ.

ثم بيّن مواضع الوصية فقال تعالى : { ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ }(٣) . قال مجاهد: كان الميراث للولد والوصية للوالدين والأقربين، فصارت الوصية للوالدين منسوخة.

وروى جويبر عن الضحاك أنه قال: نسخت الوصية للوالدين والأقربين ممن يرث، وثبتت الوصية لمن لا يرث من القرابة. ويقال: في الآية تقديم وتأخير، معناه كتب عليكم الوصية للوالدين والأقربين إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الموت وكانوا يوصون للأجنبيين، ولم يوصوا للقرابة شيئاً، فأمرهم الله تعالى بالوصية للوالدين والأقربين. ثم نسخت الوصية للوالدين بآية الميراث في قوله {بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ}(٤)، أي واجباً عليهم.(٥)

واختلف العلماء في هذه الآية، فقال فريق: محكمة، ظاهرها العموم، ومعناها الخصوص في الوالدين اللذين لا يرثان كالكافرين والعبدين، وفي القرابة غير الوارثة، وقال ابن عباس والحسن وقتادة: الآية عامة وتقرر الحكم بها برهة ونسخ منها كل من يرث بآية الفرائض، وفي هذه العبارة يدخل قول ابن عباس والحسن

(١) المحرر الوجيز :248/1، تفسير القرطبي ١٠١/٣، والآية من سورة الأحزاب: من الآية ٦

(٢)أخرجه البخاري – صحيح البخاري – كتاب الوصايا – باب الوصايا وقول النبي – صلى الله عليه وسلم وصية الرجل مكتوبة عنده ٢/٤ حديث رقم 2738، بلفظ ليلتين بدلاً من ليلة، ومسلم صحيح مسلم – كتاب الوصية -٣/- 1249 حديث رقم ١٦٢٧، بلفظ ليلتين بدلاً من ليلة.

(٣) سورة البقرة: من الآية ١٨٠

(٤) سورة البقرة: من الآية ١٨٠

(٥) بحر العلوم: ١٨٢/١، وانظر النكت والعيون: ٢٣٢/١

مجلة كلية الآداب بالوادي الجديد- مجلة علمية محكمة- إبريل ٢٠٢٣

وغيرهما إنه نسخ منها الوالدان وثبت الأقربون الذين لا يرثون، وبين أن آية الفرائض في سورة النساء ناسخة، لهذا الحديث المتواتر: «إن الله قد أعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث».(١)

وقال ابن عمر وابن عباس أيضا وابن زيد: الآية كلها منسوخة وبقيت الوصية ندباً، ونحو هذا قول مالك رحمه الله.(٢)

مما سبق نستنتج صحة قول الربيع بن خثيم حيث قال: لا وصية لوارث، بنص حديث النبي- صلى الله عليه وسلم – وإن كان ذلك لا يمنع الوصية، سيما وإن كانت لأولي الأرحام كما ذكر الربيع بن خثيم، وعلى هذا تكون الوصية غير واجبة، وإنما على سبيل الندب أو الاستحباب.

الموضع الخامس

قال تعالى: {حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ}.(٣)

ونقل الطبري في تفسيره عن الربيع بن خثيم حيث قال: حدثنا أحمد بن إسحاق، قال: ثنا أبو أحمد، عن قيس بن الربيع، عن نسير بن ذعلوق، عن أبي فطيمة، قال: " سألت الربيع بن خيثم عن الصلاة الوسطى، قال: أرأيت إن علمتها كنت محافظاً عليها ومضيعاً سائرهن؟ قلت: لا. فقال: فإنك إن حافظت عليهن فقد حافظت عليها "(٤)

ونقل ابن عطية، والقرطبي، والماوردي عن الربيع بن خثيم قولاً آخر قريباً لما نقل في تفسير الطبري حيث قال: وقالت فرقة: الصَّلاةِ الْوُسْطى لم يعينها الله تعالى لنا، فهي في جملة الخمس غير معينة، كليلة القدر في ليالي العشر، فعل الله ذلك لتقع المحافظة على الجميع، قاله نافع عن ابن عمر، والمسيب، وقاله الربيع بن خثيم.(٥)

وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى صِحَّةِ أَنَّهَا مُبْهَمَةٌ غَيْرُ مُعَيَّنَةٍ مَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ فِي آخِرِ الْبَابِ عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ: نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: (حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَصَلَاةِ الْعَصْرِ) فَقَرَأْنَاهَا مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ نَسَخَهَا اللَّهُ فَنَزَلَتْ:" حٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ " فَقَالَ رَجُلٌ: هِيَ إِذًا صَلَاةُ الْعَصْرِ؟ قَالَ الْبَرَاءُ: قَدْ أَخْبَرْتُكَ كَيْفَ نَزَلَتْ، وَكَيْفَ نَسَخَهَا اللَّهُ تَعَالَى، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.(٦) فَلَزِمَ مِنْ هَذَا أَنَّهَا بَعْدَ أَنْ عُيِّنَتْ نُسِخَ تَعْيِينُهَا وَأُبْهِمَتْ فَارْتَفَعَ التَّعْيِينُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. وَهَذَا اخْتِيَارُ مُسْلِمٍ؛ لِأَنَّهُ أَتَى بِهِ فِي آخِرِ الْبَابِ ".

(١) سبق تخريجه

(٢) المحرر الوجيز: 248/١، وانظر :تفسير القرطبي :٣/ ٩٩- ١٠١

(٣) سورة البقرة: الآية ٢٣٨

(٤) تفسير الطبري :٣٧١/٤-٣٧٢

(٥) المحرر الوجيز: ٣٢٣/١، تفسير القرطبي: ١٨١/٤، وانظر: النكت والعيون: ٣٠٩/١

(٦) أخرجه مسلم- صحيح مسلم- كتاب المساجد ومواضع الصلاة- بَابُ الدَّلِيلِ لِمَنْ قَالَ الصَّلَاةُ الْوُسْطَى هِيَ صَلَاةُ الْعَصْرِ ٤٣٨/١- حديث رقم ٦٣٠

وَقَالَ بِهِ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ الْمُتَأَخِّرِينَ، وَهُوَ الصَّحِيحُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى؛ لِتَعَارُضِ الْأَدِلَّةِ وَعَدَمِ التَّرْجِيحِ، فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الْمُحَافَظَةُ عَلَى جَمِيعِهَا وَأَدَائِهَا فِي أَوْقَاتِهَا ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.(١)

مما سبق نستنتج أن القرطبي رجح قول الربيع بن خثيم.

واختلف العلماء في تعيين الصلاة الوسطى:

فمنهم من قال: الصلاة الوسطى هي صلاة العصر، نقلها الطبري في تفسيره في روايات متعددة، والسمرقندي، والماوردي، والبغوي، وابن عطية، والقرطبي(٢)، ونقل القرطبي في تفسيره سبب ذلك؛ لِأَنَّ قَبْلَهَا صَلَاتَا نَهَارٍ وَبَعْدَهَا صَلَاتَا لَيْلٍ. قَالَ النَّحَّاسُ: وَأَجْوَدُ مِنْ هَذَا الِاحْتِجَاجِ أَنْ يَكُونَ إِنَّمَا قِيلَ لَهَا وُسْطَى؛ لِأَنَّهَا بَيْنَ صَلَاتَيْنِ: إِحْدَاهُمَا أَوَّلُ مَا فُرِضَ، وَالْأُخْرَى الثَّانِيَةُ مِمَّا فُرِضَ.(٣)

وعلة من قال إن الصلاة الوسطى هي صلاة العصر منها ما يلي:

عن عبد الله، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «من فاتته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله».(٤)، فكان ابن عمر يرى لصلاة العصر فضيلة للذي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها، أنها الصلاة الوسطى.(٥)

وعن عبد الله، قال: شغل المشركون رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عن صلاة العصر، حتى اصفرت أو احمرت، فقال: «شغلونا عن الصلاة الوسطى، ملأ الله أجوافهم، وقبورهم نارا».(٦)

وعن سالم مولى أبي نصير، قال: ثني إبراهيم بن يزيد الدمشقي، قال: كنت جالساً عند عبد العزيز بن مروان، فقال: " يا فلان، اذهب إلى فلان فقل له: أي شيء سمعت من رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في الصلاة الوسطى؟ فقال رجل جالس: " أرسلني أبو بكر، وعمر وأنا غلام صغير، أسأله عن الصلاة الوسطى، فأخذ إصبعي الصغيرة فقال: «هذه الفجر»، وقبض التي تليها وقال: «هذه الظهر»، ثم قبض

(١) تفسير القرطبي: ٤/ ١٨١– ١٨٢

(٢)انظر: تفسير الطبري :٣٤٢/٤–٣٥٩، بحر العلوم :٢١٣/١، النكت والعيون:٣٠٧/١–٣٠٨، تفسير البغوي: ٢٨٨/١– ٢٨٩، المحرر الوجيز: ٣٢٢/١–٣٢٣، تفسير القرطبي :١٧٦/٤

(٣) تفسير القرطبي: ١٧٦/٤

(٤)أخرجه مسلم – صحيح مسلم – كتاب المساجد ومواضع الصلاة – بَابُ التَّغْلِيظِ فِي تَفْوِيتِ صَلَاةِ الْعَصْرِ ٤٣٦/١ – حديث رقم ٦٢٦، وأبو داود – صحيح سنن أبي داود– كتاب الصلاة – باب في وقت صلاة العصر– ١٢٢/١ حديث رقم ٤١٤

(٥) تفسير الطبري: ٤/ ٣٤٤- ٣٤٥

(٦) المرجع السابق: 351/٤، والحديث أخرجه مسلم – صحيح مسلم – كتاب المساجد ومواضع الصلاة - بَابُ الدَّلِيلِ لِمَنْ قَالَ الصَّلَاةُ الْوُسْطَى هِيَ صَلَاةُ الْعَصْرِ ٤٣٧/١ – حديث رقم ٦٢٨

الإبهام فقال: «هذه المغرب»، ثم قبض التي تليها ثم قال: «هذه العشاء»، ثم قال: «أي أصابعك بقيت؟» فقلت: الوسطى، فقال: «أي صلاة بقيت؟» قلت: العصر. قال: «هي العصر»[١] .

قال القاضي أبو محمد: وعلى هذا القول جمهور الناس وبه أقوال والله أعلم. [٢]

وعن ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:" الصَّلَاةُ الْوُسْطَى صَلَاةُ الْعَصْرِ " [٣]

قال السمرقندي: فائدة التخصيص بصلاة العصر؛ لأن ذلك وقت الشغل ويخاف فوتها ما لا يخاف لسائر الصلوات. وقد أكد بالذكر قال: وَالصَّلاةِ الْوُسْطى خاصة. ومن طريق المعقول يدل أيضاً على أن الصلاة الوسطى هي صلاة العصر؛ لأن قبلها صلاتي النهار وبعدها صلاتي الليل. [٤]

وعَنْ أَبِي قِلَابَةَ عَنْ أَبِي الْمَلِيحِ قَالَ: كُنَّا مَعَ بُرَيْدَةَ فِي غَزْوَةٍ فِي يَوْمٍ ذِي غَيْمٍ فَقَالَ: بَكِّرُوا بِصَلَاةِ الْعَصْرِ فَإِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "مَنْ تَرَكَ صَلَاةَ الْعَصْرِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ"[٥]

قال الطبري: والصواب من القول في ذلك ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – التي ذكرناها قبل في تأويله، وهو أنها العصر. والذي حث الله تعالى ذكره عليه من ذلك، نظير الذي روي عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في الحث عليه. كما حدثني به أحمد بن محمد بن حبيب الطوسي، قال: ثنا يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا أبي، عن محمد بن إسحاق، قال: ثني يزيد بن أبي حبيب، عن خير بن نعيم الحضرمي، عن عبد الله بن هبيرة النسائي، قال: وكان ثقة، عن أبي تميم الجيشاني، عن أبي بصرة الغفاري، قال: " صلى بنا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – صلاة العصر، فلما انصرف، قال: «إن هذه الصلاة فرضت على من كان قبلكم ، فتوانوا فيها وتركوها، فمن صلاها منكم أضعف أجره ضعفين، ولا صلاة بعدها حتى يرى الشاهد» والشاهد: النجم " [٦] ، وقال صلى الله عليه وسلم: بكروا بالصلاة في يوم الغيم ؛ فإنه من فاتته العصر فقد حبط عمله " [٧] ورجح القرطبي كذلك حيث قال : وَالصَّحِيحُ عَنْ عَلِيٍّ أَنَّهَا الْعَصْرُ [٨] .

---

(١) تفسير الطبري: ٤/ ٣٥٨

(٢) المحرر الوجيز: ١/ ٣٢٣

(٣) تفسير القرطبي: ١٧٧/٤، والحديث أخرجه الترمذي – سنن الترمذي –أبواب تفسير القرآن – باب ومن سورة البقرة ٩٠/٥ –٩١– حديث رقم 2983، عن سمرة بن جندب، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح

(٤) بحر العلوم: ٢١٤/١

(٥) تفسير البغوي: ٢٨٨/١ –289، والحديث أخرجه البخاري – صحيح البخاري – كتاب مواقيت الصلاة – باب من ترك صلاة العصر ١١٥/١ حديث رقم ٥٥٣

(٦) أخرجه مسلم – صحيح مسلم – كتاب صلاة المسافرين وقصرها –بَابُ الْأَوْقَاتِ الَّتِي نُهِيَ عَنِ الصَّلَاةِ فِيهَا٥٦٨/١ – حديث رقم ٨٣٠

(٧) سبق تخريجه، انظر: تفسير الطبري: ٣٧٢/٤– ٣٧٣

(٨) تفسير القرطبي: ١٧٩/٤

وقال آخرون: الصلاة الوسطى صلاة الظهر، نقلها الطبري في تفسيره في روايات متعددة، والسمرقندي، والماوردي، والبغوي، وابن عطية، والقرطبي. (١)

وعلة من قال إن الصلاة الوسطى هي صلاة الظهر منها ما يلي:

عن زيد بن ثابت قال: " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي الظهر بالهاجرة، ولم تكن تصلي صلاة أشد على أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم منها: فنزلت: {حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى} وقال: «إن قبلها صلاتين وبعدها صلاتين».(٢)

إن رسول الله – صلى الله عليه وسلم– كان يصلي الظهر بالهجير، فلا يكون وراءه إلا الصف والصفان، الناس يكونون في قائلتهم، وفي تجارتهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لقد هممت أن أحرق على أقوام لا يشهدون الصلاة بيوتهم» قال: فنزلت هذه الآية: (حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ) وكان آخرون يقرأون ذلك: «حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وصلاة العصر».(٣)

عن نافع، أن حفصة" أمرت مولى لها أن يكتب لها مصحفاً، فقالت: إذا بلغت هذه الآية: {حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ} فلا تكتبها حتى أمليها عليك كما سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقرؤها. فلما بلغها أمرته فكتبها: حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وصلاة العصر وقوموا لله قانتين ". قال نافع: فقرأت ذلك المصحف فوجدت فيه «الواوات»(٤).

وذكر ابن عطية احتجاج قائلي هذه المقالة بأنها أول صلاة صليت في الإسلام، فهي وسطى بذلك، أي فضلى، فليس هذا التوسط في الترتيب، وأيضا فروي أنها كانت أشق الصلوات على أصحاب النبي –صلى الله عليه وسلم؛ لأنها كانت تجيء في الهاجرة، وهم قد نفعتهم أعمالهم في أموالهم(٥)

وَرَوَى مَالِكٌ فِي مُوَطَّئِهِ، وَأَبُو دَاوُدَ الطَّيَالِسِيُّ فِي مُسْنَدِهِ، عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ قَالَ: الصَّلَاةُ الْوُسْطَى صَلَاةُ الظُّهْرِ، زَادَ الطَّيَالِسِيُّ: وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يصليها بالهجير.(٦)

---

(١)انظر :تفسير الطبري :٣٥٩/٤-٣٦٦، بحر العلوم :٢١٣/١، النكت والعيون:٣٠٨/١-309، تفسير البغوي: ٢٨٧/١-٢٨٨، المحرر الوجيز: ٣٢٢/١، تفسير القرطبي :١٧٥/٤

(٢) تفسير القرطبي : ١٧٦/٤، والحديث أخرجه أبوداود – صحيح سنن أبي داوود – كتاب الصلاة – باب في وقت صلاة العصر ١٢١/١- ١٢٢ – حديث رقم ٤١١

(٣) تفسير الطبري: ٣٦٣/٤ ، والحديث في مسند الإمام أحمد بن حنبل –١٢٦/٣٦ حديث رقم21792، إسناده ضعيف، حدثنا يزيد حدثنا ابن أبي ذئب عن الزبرقان

(٤) تفسير الطبري: ٣٦٤/٤، أخرجه ابن أبي داود في المصاحف ٣٧٢/١ برقم ٢٤٢

(٥) المحرر الوجيز: ٣٢٢/١

(٦) تفسير القرطبى : ١٧٦/٤ ، والحديث في موطأ مالك – كتاب صلاة الجماعة – باب الصلاة الوسطى ١٣٩/١ – حديث رقم ٢٧ ، مسند أبي داوود الطيالسي ٢٠/٢ – حديث رقم ٦٦٢ – اسناده ضعيف

وقال آخرون: الصلاة الوسطى صلاة المغرب، نقلها الطبري في تفسيره في روايات متعددة، والماوردي، والبغوي، وابن عطية، والقرطبي. [١]

وعلة من قال إن الصلاة الوسطى هي صلاة المغرب منها ما يلي:

عن قبيصة بن ذؤيب، قال: «الصلاة الوسطى صلاة المغرب، والحجة لهم أنها متوسطة في عدد الركعات؛ ليست بأقلها ولا أكثرها، ولا تقصر في السفر، وأن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لم يؤخرها عن وقتها ولم يعجلها، وبعدها صلاتا جهر وقبلها صلاتا سر». [٢]

قال أبو جعفر: ووجه قبيصة بن ذؤيب قوله { ٱلۡوُسۡطَىٰ} إلى معنى التوسط، الذي يكون صفة للشيء، يكون عدلاً بين الأمرين، كالرجل المعتدل القامة، الذي لا يكون مفرطاً طوله ولا قصيرة قامته، ولذلك قال: ألا ترى أنها ليست بأقلها ولا أكثرها؟[٣]

وَرُوِيَ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ،عَنِ النَّبِيِّ– صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قَالَ:" إِنَّ أَفْضَلَ الصَّلَوَاتِ عِنْدَ اللَّهِ صَلَاةُ الْمَغْرِبِ؛ لَمْ يُحِطَّهَا عَنْ مُسَافِرٍ وَلَا مُقِيمٍ ، فَتَحَ اللَّهُ بِهَا صَلَاةَ اللَّيْلِ، وَخَتَمَ بِهَا صَلَاةَ النَّهَارِ، فَمَنْ صَلَّى الْمَغْرِبَ وَصَلَّى بَعْدَهَا رَكْعَتَيْنِ؛ بَنَى اللَّهُ لَهُ قَصْرًا فِي الْجَنَّةِ، وَمَنْ صَلَّى بَعْدَهَا أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ ذُنُوبَ عِشْرِينَ سَنَةً، أَوْ قَالَ: أَرْبَعِينَ سَنَةً ". [٤]

وقال آخرون: الصلاة الوسطى التي عناها الله بقوله: {حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ} هي صلاة الغداة [٥]وعلة من قال هذه المقالة أن الله تعالى ذكره قال: {حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ } بمعنى: وقوموا لله فيها قانتين. قال: فلا صلاة مكتوبة من الصلوات الخمس فيها قنوت سوى صلاة الصبح، فعلم بذلك أنها هي دون غيرها. وقال آخرون: هي إحدى الصلوات الخمس، ولا نعرفها بعينها[٦]

وعلة من قال إن الصلاة الوسطى هي صلاة الغداة أو الصبح أو الفجر منها ما يلي:

عن ابن عباس، قال: «الصلاة الوسطى صلاة الفجر»[٧] ، وعن أبي رجاء، قال: " صليت مع ابن عباس الغداة في مسجد البصرة، فقنت بنا قبل الركوع وقال: هذه الصلاة الوسطى التي قال الله تعالى: {وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ }. [٨]

---

(١) انظر :تفسير الطبري :٣٦٦/٤–367، النكت والعيون:١/ 309، تفسير البغوي: 289/١، المحرر الوجيز: 323/١، تفسير القرطبي :١٧٧/٤

(٢) تفسير القرطبي: ١٧٧/٤

(٣) تفسير الطبري: ٣٦٧/٤

(٤) تفسير القرطبي: ١٧٨/٤، والحديث أخرجه الطبراني مختصراً في المعجم الأوسط ٢٩٣/٦ – حديث رقم ٦٤٤٩

(٥)انظر :تفسير الطبري :٣٦٧/٤–٣٧١، بحر العلوم :٢١٣/١، النكت والعيون:309/١، تفسير البغوي: ٢٨٧/١، المحرر الوجيز: ٣٢٢/١، تفسير القرطبي:١٧٨/٤

(٦)تفسير الطبري: ٣٧١/٤

(٧) المرجع السابق: ٣٦٧/٤

(٨) سورة البقرة: من الآية ٢٣٨

عن أبي العالية، قال: " سألت ابن عباس بالبصرة ها هنا، وإن فخذه لعلى فخذي، فقلت: يا أبا فلان، أرأيتك صلاة الوسطى التي ذكر الله في القرآن، ألا تحدثني أي صلاة هي؟ قال: وذلك حين انصرفوا من صلاة الغداة، فقال: أليس قد صليت المغرب والعشاء الآخرة؟ قال: قلت: بلى، قال: ثم صليت هذه؟ قال: ثم تصلي الأولى والعصر؟ قال: قلت: بلى. قال: فهي هذه "

عن أبي العالية" أنه صلى مع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الغداة، فلما أن فرغوا، قال: قلت لهم: أيتهن الصلاة الوسطى؟ قالوا: التي صليتها قبل ". وعن عكرمة في قوله: " {والصلاة الوسطى} قال: صلاة الغداة ". (١)

ونقل ابن عطية أنها الصبح وأن لفظ «وسطى» يراد به الترتيب؛ لأنها قبلها صلاتا ليل يجهر فيهما، وبعدها صلاتا نهار يسر فيهما، قال هذا القول علي بن أبي طالب، وابن عباس، وصلى بالناس يوماً الصبح فقنت قبل الركوع، فلما فرغ قال: «هذه الصلاة الوسطى التي أمرنا الله أن نقوم فيها قانتين»، وقاله أبو العالية ورواه عن جماعة من الصحابة، وقاله جابر بن عبد الله وعطاء بن أبي رباح وعكرمة ومجاهد وعبد الله بن شداد بن الهاد والربيع ومالك بن أنس. وقوى مالك ذلك بأن الصبح لا تجمع إلى غيرها، وصلاتا جمع قبلها وصلاتا جمع بعدها، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لو يعلمون ما في العتمة والصبح لأتوهما ولو حبوا» (٢)، وقال: «إنهما أشدّ الصلوات على المنافقين»، وفضل الصبح لأنها كقيام ليلة لمن شهدها والعتمة نصف ليلة، وقال الله تعالى: {إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا} (٣)، فيقوي هذا كله أمر الصبح.(٤)

وقالت فرقة أن الصَّلاةِ الْوُسْطى صلاة العشاء الآخرة؛ وذلك أنها تجيء في وقت نوم وهي أشد الصلوات على المنافقين، ويستحب تأخيرها، وذلك شاق؛ فوقع التأكيد في المحافظة عليها، وأيضا فقبلها صلاتان وبعدها صلاتان. (٥)

وقالت فرقة: صلاة الجمعة، فإنها وسطى فضلى، لما خصت به من الجمع والخطبة وجعلت عيداً، ذكره ابن حبيب ومكي.(٦)

رَوَى مُسْلِمٌ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِقَوْمٍ يَتَخَلَّفُونَ عَنِ الْجُمُعَةِ:" لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آمُرَ رَجُلًا يُصَلِّي بِالنَّاسِ، ثُمَّ أَحْرِقْ عَلَى رِجَالٍ يَتَخَلَّفُونَ عَنِ الْجُمُعَةِ بُيُوتَهُمْ".(٧)

(١) انظر تفسير الطبري: ٤/ ٣٦٧- ٣٧٠

(٢) أخرجه البخاري – صحيح البخاري – كتاب الشهادات – بَابُ القُرْعَةِ فِي المُشْكِلاَتِ ١٨٢/٣ – جزء من حديث رقم ٢٦٨٩

(٣) سورة الإسراء: من الآية ٧٨

(٤) المحرر الوجيز: ٣٢٢/١

(٥) المحرر الوجيز: ١/ ٣٢٣، تفسير القرطبي: ١٧٨/٤

(٦) المحرر الوجيز: 323/1، تفسير القرطبي: ١٧٩/٤

(٧) تفسير القرطبي: 179/٤، والحديث أخرجه مسلم – صحيح مسلم – كتاب المساجد ومواضع الصلاة – باب فضل صلاة الجماعة، وبيان التشديد في التخلف عنها1 /٤٥٢ – حديث رقم ٦٥٢

وقالت فرقة: إنها إحدى الصلوات الخمس ولا تعرف بعينها؛ ليكون أبعث لهم على المحافظة على جميعها، وهذا قول نافع، وابن المسيب، والربيع ابن خثيم. (١)

وزاد الماوردي أن الصلاة الوسطى صلاة الجماعة من جميع الصلوات. وفي تسميتها بالوسطى ثلاثة أوجه: **أحدها:** لأنها أوسط الصلوات الخمس محلاً؛ لأنها بين صلاتي ليل وصلاتي نهار. **والثاني:** لأنها أوسط الصلاة عدداً؛ لأن أكثرهن أربع وأقلهن ركعتان. **والثالث:** لأنها أفضل الصلوات ووسط الشيء ووسطاه أفضله، وتكون الوُسْطَى بمعنى الفُضْلَى. (٢)

وزاد القرطبي قولاً حيث قال: إِنَّهَا الصُّبْحُ وَالْعَصْرُ مَعًا. قَالَهُ الشَّيْخُ أَبُو بَكْرٍ الْأَبْهَرِيُّ، وَاحْتَجَّ بِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:" يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلَائِكَةٌ بِالنَّهَارِ" (٣) الْحَدِيثَ، رَوَاهُ أَبُو هُرَيْرَةَ. وَرَوَى جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِذْ نَظَرَ إِلَى الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ فَقَالَ:" أَمَا إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ ، فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَلَّا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَصَلَاةٍ قَبْلَ غُرُوبِهَا" يَعْنِي الْعَصْرَ وَالْفَجْرَ: ثُمَّ قَرَأَ جَرِيرٌ {وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَاۖ } "(٤). وروى عمارة بن رويبة قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:" لَنْ يَلِجَ النَّارَ أَحَدٌ صَلَّى قبل طلوع الشمس وقبل غروبها". (٥)

يَعْنِي الْفَجْرَ وَالْعَصْرَ. وَعَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:" مَنْ صَلَّى الْبَرْدَيْنِ دَخَلَ الْجَنَّةَ" (٦) كُلُّهُ ثَابِتٌ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ وَغَيْرِهِ. وَسُمِّيَتَا الْبَرْدَيْنِ لِأَنَّهُمَا يُفْعَلَانِ فِي وَقْتَ الْبَرْدِ.(٧)

الخلاصة: مما سبق نستنتج أن الصلاة الوسطى- في رأيي لم تعين، وكما ذكر الربيع بن خثيم حيث قال: الصَّلاةِ الْوُسْطى لم يعينها الله تعالى لنا، فهي في جملة الخمس غير معينة، كليلة القدر في ليالي العشر، فعل الله ذلك لتقع المحافظة على الجميع، رغم أن أكثر العلماء على أن الصلاة الوسطى هي صلاة العصر.

---

(١) النكت والعيون: ٣٠٩/١، المحرر الوجيز: ٣٢٣/١، تفسير القرطبي: ١٨١/٤

(٢) النكت والعيون: ٣٠٩/١

(٣) أخرجه البخاري –صحيح البخاري – كتاب التوحيد – بَابُ كَلاَمِ الرَّبِّ مَعَ جِبْرِيلَ، وَنِدَاءِ اللَّهِ المَلاَئِكَةَ ١٤٢/٩ – حديث رقم ٧٤٨٦، ومسلم – صحيح مسلم –كتاب المساجد ومواضع الصلاة – بَابُ فَضْلِ صَلاَتَيِ الصُّبْحِ وَالْعَصْرِ، وَالْمُحَافَظَةِ عَلَيْهِمَا ٤٣٩/١ – حديث رقم ٦٣٢

(٤) سورة طه: من الآية ١٣٠، والحديث أخرجه البخاري – صحيح البخاري – كتاب التوحيد – باب قول الله تعالى (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة ١٢٧/٩ –حديث رقم ٧٤٣٤، ومسلم – صحيح مسلم – كتاب المساجد ومواضع الصلاة – باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما ١/ ٤٣٩ –حديث رقم ٦٣٣

(٥)أخرجه مسلم – صحيح مسلم –كتاب المساجد ومواضع الصلاة –بَابُ فَضْلِ صَلاَتَيِ الصُّبْحِ وَالْعَصْرِ، وَالْمُحَافَظَةِ عَلَيْهِمَا ٤٤٠/١ حديث رقم ٦٣٤

(٦) أخرجه مسلم– صحيح مسلم– كتاب المساجد ومواضع الصلاة– بَابُ فَضْلِ صَلاَتَيِ الصُّبْحِ وَالْعَصْرِ، وَالْمُحَافَظَةِ عَلَيْهِمَا ٤٤٠/١– حديث رقم ٦٣٥

(٧) تفسير القرطبي: ١٧٩/٤– ١٨٠

الموضع السادس

قال الله تعالى: {يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ}.(١) نقل الثعلبي، والسمين الحلبي في تفسيرهما عن الربيع بن خثيم حيث قالا: قرأ الربيع بن خيثم: تؤتي الحكمة.(٢) ونقل ابن عطية، وأبو حيان في تفسيرهما عن الربيع بن خثيم حيث قالا: وقرأ الربيع بن خثيم «تؤتي الحكمة من تشاء» بالتاء في «تؤتي» و «تشاء» منقوطة من فوق.(٣)

وبالبحث في كتب القراءات وكتب التفسير لم أعثر على أي قراءة أخرى بالتاء غير قراءة الربيع بن خثيم وهي «تؤتي الحكمة من تشاء» التي نقلها الثعلبي، وابن عطية، وأبو حيان، والسمين الحلبي، كما سبق توضيحه أي أن الربيع بن خثيم انفرد بهذه القراءة خلافاً لقراءة الجمهورُ على «يُؤْتِي» بالياءَ،(٤) وهي القراءة الصحيحة.

أما القراءة في قوله تعالى: {وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ} فقد نقل السمين الحلبي، وابن عادل في تفسيرهما قراءة الربيع بن خثيم حيث قال: قرأ الربيع بن خيثم: تؤتي الحكمة ومن تؤت الحكمة بالتاء على الخطاب فيهما. وهو خطابٌ للباري على الالتفاتِ.(٥)

لكن للإنصاف نجد أن ابن عطية نقل في تفسيره قراءة أخرى للربيع بن خثيم في قوله تعالى: «ومن يؤت الحكمة» بالياء.(٦) وهي القراءة الصحيحة طبقاً لقراءة الجمهور على «وَمَنْ يُؤْتَ» بالياء.(٧)

أقوال العلماء في قراءة قوله تعالى: {وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ}.

قرأ «يعقوب» «يؤت» بكسر التاء، على البناء للفاعل، والفاعل ضمير يعود على الله تعالى المتقدم في قوله: «والله واسع عليم»، و «من» مفعول أول، و «الحكمة» مفعول ثان، والتقدير: يؤت الله من يشاء الحكمة، وإذا وقف على «يؤت» أثبت الياء، كما قال «ابن الجزرى» بالياء قف.(٨)

وقال الزمخشريُّ: بمعنى «وَمْن يُؤْتِهِ اللهُ الحكمة»، وهكذا قرأ الأعمش(٩) . قال أبو حيان: "إن أرادَ تفسير المعنى فهو صحيحٌ، وإن أراد تفسير الإعراب، فليس كذلك؛ ليس في يؤت ضمير نصب حذفٌ، بل مفعوله مقدم بفعل الشرط".(١٠).

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٦٩

(٢) تفسير الثعلبي: ٢٧٢/٢، الدر المصون :٦٠٤/٢

(٣) المحرر الوجيز: ٣٦٥/١، البحر المحيط: ٣٣٤/٢

(٤) الدر المصون :٦٠٤/٢، اللباب في علوم الكتاب: ٤١٨/٤

(٥) الدر المصون: ٦٠٤/٢- ٦٠٥، اللباب في علوم الكتاب: ٤١٨/٤

(٦) المحرر الوجيز: ٣٦٥/١

(٧) الدر المصون :٦٠٤/٢، اللباب في علوم الكتاب: ٤١٨/٤

(٨)القراءات وأثرها في علوم العربية: 515/1، وانظر: الكنز في القراءات العشر :ص ١٣٧، تفسير السمعاني: 273/1، تفسير البغوي:٣٣٤/١

(٩) الكشاف: ص ١٥١

(١٠) البحر المحيط: ٣٣٤/٢

وقرأ الباقون «يؤت» بفتح التاء، على البناء للمفعول، ونائب الفاعل ضمير يعود على «من» و «الحكمة» مفعول، ويقفون عليها بالتاء الساكنة[١]

وذكر ابن الجوزي القراءة في قوله تعالى: {وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ}، قرأ يعقوب بكسر تاء «يؤت»، ووقف عليها بهاء والمعنى: ومن يؤته الله الحكمة. وكذلك هي في قراءة ابن مسعود بهاء بعد التاء.[٢]

ونقل أبو حيان في تفسيره قراءة الأعمش حيث قال: وَقَرَأَ الْأَعْمَشُ: وَمَنْ يُؤْتِهُ الْحِكْمَةَ، بِإِثْبَاتِ الضَّمِيرِ الَّذِي هُوَ الْمَفْعُولُ الأول: ليؤت، وَالْفَاعِلُ فِي هَذِهِ الْقِرَاءَةِ ضَمِيرٌ مَسْتَكِنٌ فِي: يُؤْتَ، عَائِدٌ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى.[٣]

والخلاصة: نستنتج أن القراءة بالتاء (تؤتي وتؤت) في قوله تعالى: {يُؤۡتِي ٱلۡحِكۡمَةَ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا كَثِيرٗاۗ} هي قراءة انفرد بها الربيع بن خثيم خلافاً لما عليه الجمهور من القراءة بالياء. وهي القراءة الصحيحة. ،وإن كان قد ذكر ابن عطية –كما سبق– في تفسيره قراءة أخرى للربيع بن خثيم في قوله تعالى» :وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ» بالياء.

الموضع السابع:

قوله تعالى: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ}. [٤] نقل الطبري في تفسيره قول الربيع بن خثيم حيث قال: حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا يحيى بن سعيد، قال: ثنا شعبة، قال: ثنا عمرو، عن مرة، عن الربيع بن خثيم قال: «أن يطاع فلا يعصى، ويشكر فلا يكفر، ويذكر فلا ينسى» [٥] وقد ذكر طاووس والحسن وقتادة حيث قالوا: «أن يطاع فلا يعصى» فقط.[٦]

وقد ذكر الطبري هذا المعنى في تفسيره للآية فقال: يا معشر من صدق الله ورسوله {ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ}: خافوا الله وراقبوه بطاعته واجتناب معاصيه، {حَقَّ تُقَاتِهِۦ}: حق خوفه، وهو أن يطاع فلا يعصى، ويشكر فلا يكفر، ويذكر فلا ينسى".[٧]

بيد أن الطبري ذكر أيضاً عن ابن عباس، والخازن عن مجاهد معناً آخر للآية فقال: «حق تقاته أن يجاهد في الله حق جهاده، ولا يأخذهم في الله لومة لائم، ويقوموا لله بالقسط ولو على أنفسهم وآبائهم وأبنائهم».[٨]

---

(١) القراءات وأثرها في علوم العربية: ٥١٥/١، تفسير الثعلبي: ٢٧٢/٢، المحرر الوجيز: 364/١، تفسير القرطبي :357/٤، البحر المحيط :٣٣٤/٢، الدر المصون: 605/٢، تفسير النيسابوري: ٤٣/٢، اللباب في علوم الكتاب: 418/٤، فتح القدير: ص 186، فتح البيان: ١٣٠/٢

(٢)زاد المسير :ص ١٦٥

(٣) البحر المحيط :٣٣٤/٢

(٤) سورة آل عمران: الآية ١٠٢

(٥) تفسير الطبري: ٦٣٩/٥

(٦) المرجع السابق: ٦٣٩/٥– ٦٤٠

(٧) المرجع السابق: ٥/ ٦٣٧

(٨) تفسير الطبري: 640/٥، تفسير الخازن: ٢٧٦/١

وذكر مثل تفسير الربيع ابن خثيم للآية ابن عباس [١] والسدي [٢] وعمرو ابن ميمون [٣] حيث قالوا: «أن يطاع فلا يعصى، ويذكر فلا ينسى، ويشكر فلا يكفر».

وقد ذكر الخازن في تفسيره سبب نزول هذه الآية قال مقاتل بن حيان: كان بين الأوس والخزرج عداوة في الجاهلية وقتال، فلما هاجر رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – إلى المدينة أصلح بينهم، فافتخر بعد ذلك منهم رجلان وهما ثعلبة بن غنم من الأوس وأسعد بن زرارة من الخزرج. فقال الأوسي: منا خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين، ومنا حنظلة غسيل الملائكة ، ومنا عاصم بن ثابت بن أفلح حمي الدبر، ومنا سعد بن معاذ الذي اهتز عرش الرحمن له ورضى الله بحكمه في بني قريظة ، وقال الخزرجي: منا أربعة أحكموا القرآن أبي بن كعب ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وأبو زيد ، ومنا سعد بن عبادة خطيب الأنصار ورئيسهم ، فجرى الحديث بينهما ، فغضبا وأنشدا الأشعار وتفاخرا ، فجاء الأوس والخزرج ومعهم السلاح ، فأتاهم النبي – صلّى الله عليه وسلّم– فأصلح بينهم ؛ فأنزل الله عز وجل هذه الآية{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ } [٤]

الواقع، اختلف العلماء في هذا القدر من هذه الآية هل هو منسوخ أم لا على قولين **أحدهما:** أنه منسوخ؛ وذلك لما روي عن ابن عباس أنه لمَّا نزلت هذه الآية شق ذلك على المسلمين؛ لأن حقَّ تقاته أن يُطَاعَ فلا يُعْصَى طرفة عين، وأن يُشْكَر فلا يُكفر، وأن يذكر فلا ينسى – والعباد لا طاقة لهم بذلك، فنزل: { فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ } [٥] ، فنسخت أول هذه الآيةِ، ولم ينسخ آخرها، وهو قوله تعالى: { وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ }.[٦]

وقال جمهور المحقِّقين: إن القول بهذا النسخ باطلٌ؛ لما روي عن معاذ أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «أَتَدْرِي مَا حَقُّ اللهِ عَلَى العِبَادِ، وَمَا حَقُّ العِبَادِ على الله»؟ فقلت: اللهُ ورسولُه أعْلَمُ. قال: «حَقُّ الله على العِبَادِ أن يَعْبُدُوهُ وَلاَ يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً، وحَقُّ العِبَادِ على اللهِ ألا يُعَذِّبَ مَنْ لا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً» قلت: يا رسول الله، أفلا أبَشر الناسَ؟ قال: «لا تبشرهم فيتَّكلوا» [٧] وهذا لا يجوز أن يُنْسخَ؛ ولأن معنى قوله: { ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ } أي: كما يحق أن يتقى، وذلك بأن تُجْتَنَبَ جميع معاصيه، ومثل هذا لا يجوز أن يُنْسخ؛ لأنه

---

(١) تفسير الطبري: ٥/ 637، تفسير الخازن :١ /٢٧٦

(٢) تفسير الطبري: ٥/٦٤٠

(٣) المرجع السابق: ٥/٦٣٨– ٦٣٩

(٤) تفسير الخازن: 276/١، انظر شرح مشكل الآثار–باب بيان مشكل ما روى عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – من قوله (خذوا القرآن من أربعة(فذكر أربعة ممن جمع القرآن دون من سواهم ممن قد جمعه، عن أنس – رواه مختصراً– ٢٢٢/١٤ برقم ٥٥٨٤

(٥) سورة التغابن: من الآية ١٦

(٦) سورة آل عمران من الآية ١٠٢

(٧)أخرجه البخاري – صحيح البخاري – كتاب التوحيد – بَابُ مَا جَاءَ فِي دُعَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُمَّتَهُ إِلَى تَوْحِيدِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ١١٤/٩ حديث رقم ٧٣٧٣

إباحة لبعض المعاصي، وإذا كان كذلك صار معنى هذه الآية ومعنى قوله: { فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ } واحداً؛ لأن من اتقى الله ما استطاع فقد اتقاه حق تقاته؛ ولأن حق تقاته ما استطاع من التقوى؛ لأن الله لا يكلف نفساً إلا وسعها والوسع دون الطاقة .

وأما الذين قالوا: إن المراد هو أن يُطاع فلا يُعصى فهذا صحيح، والذي يصدر عن الإنسان كان سَهْواً، أو نِسْيَاناً فغير قادح فيه؛ لأن التكليف مرفوع عنه في هذه الأحوال، وكذلك قوله: أن يشكر فلا يكفر؛ لأن ذلك واجب عليه عند حضور نعم الله بالبال، فأما عند السهو فلا يجب، وكذلك قوله: أن يذكر فلا يُنْسَى، فإن ذلك واجب عند الدعاء والعبادة، وكل ذلك مما يطاق، فلا وَجْهَ للقول بالنسخ.(١)

مما سبق نستنتج أن الربيع بن خثيم قد فسر الآية كما فسرها ابن عباس والسدي وعمرو ابن ميمون، وقد رجح الخازن وابن عادل هذا التفسير كما ذكرناه آنفاً.

الموضع الثامن

قوله تعالى: (إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا) . (٢)

نقل الطبري في تفسيره عن الربيع بن خثيم حيث قال :حدثنا ابن وكيع ، قال: ثنا جرير ، عن الأعمش ، عن منذر الثوري ، عن الربيع بن خثيم في قوله: { إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ} قال: أوحي إليك كما أوحي إلى جميع النبيين من قبله ، وذكر أن هذه الآية نزلت على رسول الله – صلى الله عليه وسلم ؛ لأن بعض اليهود لما فضحهم الله بالآيات التي أنزلها على رسوله – صلى الله عليه وسلم ، وذلك من قوله: { يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ } (٣) فتلا ذلك عليهم رسول الله – صلى الله عليه وسلم ، قالوا: ما أنزل الله على بشر من شيء بعد موسى. فأنزل الله هذه الآيات تكذيباً لهم، وأخبر نبيه والمؤمنين به أنه قد أنزل عليه بعد موسى وعلى من سماهم في هذه الآية، وعلى آخرين لم يسمهم. (٤)

وذكر الطبري وابن عطية أسباب نزول أخرى وهي، عن ابن عباس ، قال: قال سكين وعدي بن زيد: يا محمد ما نعلم الله أنزل على بشر من شيء بعد موسى ٠ فأنزل الله في ذلك من قولهما: { إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ۞ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ

(١) اللباب في علوم الكتاب :٥/٤٢٩ –٤٣٠

(٢) سورة النساء: الآية ١٦٣

(٣) سورة النساء :من الآية ١٥٣

(٤) تفسير الطبري: ٧/٦٨٥–٦٨٦

وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا۞ رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا } . (١)

وذكر من قال ذلك: حدثني الحارث ، قال: ثنا عبد العزيز ، قال: ثنا أبو معشر ، عن محمد بن كعب القرظي ، قال: أنزل الله: { يَسۡـَٔلُكَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيۡهِمۡ كِتَٰبٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِۚ } إلى قوله: { وَقَوۡلِهِمۡ عَلَىٰ مَرۡيَمَ بُهۡتَٰنًا عَظِيمٗا } . (٢) فلما تلاها عليهم ، يعني على اليهود ، وأخبرهم بأعمالهم الخبيثة ، جحدوا كل ما أنزل الله ، وقالوا: ما أنزل الله على بشر من شيء ، ولا على موسى ، ولا على عيسى ، وما أنزل الله على نبي من شيء. قال: فحل حبوته ، وقال: ولا على أحد، فأنزل الله جل ثناؤه: {وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ إِذۡ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٖ مِّن شَيۡءٖۗ} .(٣)

وذكر الطبري سبب نزول آخر فقال:" وقال آخرون: بل قالوا: لما أنزل الله الآيات التي قبل هذه في ذكرهم ما أنزل الله على بشر من شيء، ولا على موسى، ولا على عيسى، فأنزل الله جل ثناؤه: {وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ إِذۡ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٖ مِّن شَيۡءٖۗ}.(٤)

والمعنى: أنا توافقنا على نبوة نوح وإبراهيم وإسماعيل وجميع المذكورين في هذه الآية، وعلى أن الله تعالى أوحى إليهم، ولا طريق إلى العلم بكونهم أنبياء الله ورسله ، إلا ظهور المعجزات عليهم ، ولكل واحد منهم نوع آخر من المعجزات على التعيين، وما أنزل الله على كل واحد من هؤلاء المذكورين كتاباً بتمامه مثل ما أنزل إلى موسى، فلما لم يكن عدم إنزال الكتاب على هؤلاء دفعة واحدة قادحاً في نبوتهم، بل كفى في إثبات نبوتهم ظهور نوع واحد من أنواع المعجزات عليهم، علمنا أن هذه الشبهة زائلة، وأن إصرار اليهود على طلب هذه المعجزة باطل، وتحقيق القول فيه أن إثبات المدلول يتوقف على ثبوت الدليل، ثم إذا حصل الدليل وتم فالمطالبة بدليل آخر، تكون طلباً للزيادة وإظهاراً للتعنت واللجاج، والله سبحانه وتعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، فلا اعتراض عليه لأحد بأنه لم أعطى هذا الرسول هذه المعجزة وذلك الرسول الآخر معجزاً آخر. (٥)

مما سبق نستنتج أن الطبري وابن عطية قد ذكرا سبب نزول عن ابن عباس – رضي الله عنهما – وهو قريب من سبب النزول الذي ذكره الربيع بن خثيم.

الموضع التاسع

(١) سورة النساء: الآيات ١٦٣-١٦٥، وانظر سيرة ابن هشام: ٢٠٤/٢

(٢) سورة النساء: من الآية ١٥٣ – ١٥٦

(٣) تفسير الطبري :٦٨٦/٧-687، المحرر الوجيز :٢/ 136والآية من سورة الأنعام: من الآية ٩١

(٤) تفسير الطبري: ٦٨٧/٧

(٥) تفسير الرازي: ١١٠/١١

قوله تعالى: {وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًاۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ}[١]

نقل السيوطي، والقنوجي في تفسيرهما عن الربيع بن خثيم حيث قالا: وَأخرج ابْن أبي حَاتِم عَن الرّبيع بن خثيم قَالَ: كَانَت عَاد مَا بَين الْيمن إِلَى الشَّام مثل الذَّر.[٢] قَوْله تَعَالَى {وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًاۚ} كَانَ من قَومهمْ وَلم يكن أَخَاهُم فِي الدّين.

قال البغوي، والخازن، والسيوطي: عاد الأولى أخاهم هودا يعني أخاهم في النسب لا في الدين. [٣]

ونقل القرطبي قول ابن عباس – رضي الله عنهما – حيث قال: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: أَيِ ابْنُ أَبِيهِمْ. وَقِيلَ: أَخَاهُمْ فِي الْقَبِيلَةِ. وَقِيلَ: أي: بشرا من بني أبيهم آدم.[٤]

نقل الخازن في تفسير هذه الإخوة وجهين:

الأول: قال الزجاج: إنه كان من بني آدم ومن جنسهم لا من الملائكة ويكفي هذا القدر في تسمية الأخوة. والمعنى إنّا أرسلنا إلى عاد واحداً من جنسهم من البشر ليكون الفهم والأنس بكلامه أتم وأكمل ولم نبعث إليهم من غير جنسهم مثل الملك أو الجن.

والثاني: إنه أخاهم يعني صاحبهم والعرب تسمي صاحب القوم أخاهم. [٥]

وَهُوَ عَادُ بْنُ عَوْصِ بْنِ إِرَمِ بْنِ سَامِ بْنِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ –، وَهُوَ هُودُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَبَاحِ بْنِ الْجلودِ بْنِ عَادِ بْنِ عَوْصٍ. وَقَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: هُوَ بن شَالِخِ بْنِ أَرْفَخْشَذَ بْنِ سَامِ بْنِ نُوحٍ. [٦]

وَكَانَتْ عَادٌ فِيمَا رُوِيَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ قَبِيلَةً، يَنْزِلُونَ الرِّمَالَ، رَمْلَ عَالِجَ. وَكَانُوا أَهْلَ بَسَاتِينَ وَزُرُوعٍ وَعِمَارَةٍ، وَكَانَتْ بِلَادُهُمْ أَخْصَبَ الْبِلَادِ، فَسَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، فَجَعَلَهَا مَفَاوِزَ، وَكَانَتْ– فِيمَا رُوِيَ– بِنَوَاحِي حَضْرَمَوْتَ إِلَى الْيَمَنِ، وَكَانُوا يَعْبُدُونَ الْأَصْنَامَ.[٧]

الموضع العاشر

قوله تعالى: { فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلًا وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ }.[٨]

نقل الطبري، وابن أبي حاتم عن الربيع بن خثيم حيث قالا: عن أبي رزين، عن الربيع بن خثيم: " {فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلًا} قال: في الدنيا {وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا} قال: في الآخرة "[٩]، وذكر نفس تفسير الآية أبي رزين،

(١) سورة الأعراف: الآية ٦٥

(٢) الدر المنثور :447/٦، فتح البيان :٣٩٠/٤

(٣) تفسير البغوي: 242/٣، انظر: تفسير الخازن :215/٢، الدر المنثور :٤٤٧/٦

(٤) تفسير القرطبي: ٢٦٢/٩

(٥) تفسير الخازن: ٢١٦/٢

(٦) انظر تفسير البغوي :242/٣، تفسير القرطبي: ٢٦٢/٩–263، تفسير الخازن: ٢١٥/٢

(٧) تفسير القرطبي :٢٦٣/٩

(٨) سورة التوبة: الآية ٨٢

(٩) تفسير الطبري: ٦٠٥/١١– ٦٠٧، تفسير ابن أبي حاتم: ١٨٥٦/٦

وقتادة، [١] لكن أضاف قتادة حديث عن رسول الله– صلى الله عليه وسلم– ذكر لنا أن نبي الله– صلى الله عليه وسلم– قال: «والذي نفسي بيده لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا» [٢] ذكر لنا أنه نودي عند ذلك، أو قيل له: لا تقنط عبادي، [٣] وذكر نفس تفسير الآية الحسن.[٤]

ولقد بين ابن عباس – رضي الله عنهما – الفئة التي تضحك قليلاً وتبكي كثيراً حيث قال: {فَلۡيَضۡحَكُواْ قَلِيلٗا وَلۡيَبۡكُواْ كَثِيرٗا} قال: هم المنافقون والكفار الذين اتخذوا دينهم هزواً ولعباً، يقول الله تبارك وتعالى: {فَلۡيَضۡحَكُواْ قَلِيلٗ {في الدنيا { وَلۡيَبۡكُواْ كَثِيرٗا } في النار ."[٥]

وذكر ابن زيد في تفسير الآية كما ذكر أبي رزين والحسن وقتادة، ودعم ذلك بآيات وقال: {إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضۡحَكُونَ}[٦] حتى بلغ: {هَلۡ ثُوِّبَ ٱلۡكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ}. [٧]"

ولقد ذكر الطبري تفسير الآية حيث قال: قال تعالى: {فَلۡيَضۡحَكُواْ قَلِيلٗا وَلۡيَبۡكُواْ كَثِيرٗا جَزَآءُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ} يقول تعالى ذكره: فرح هؤلاء المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله، فليضحكوا فرحين قليلاً في هذه الدنيا الفانية بمقعدهم خلاف رسول الله، ولهوهم عن طاعة ربهم، فإنهم سيبكون طويلاً في جهنم، مكان ضحكهم القليل في الدنيا { جَزَآءُۢ } يقول: ثوابا منا لهم على معصيتهم بتركهم النفر إذ استنفروا إلى عدوهم وقعودهم في منازلهم خلاف رسول الله. {بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ} يقول: بما كانوا يجترحون من الذنوب.[٨]

وأضاف السمرقندي حديثاً عن أنس بن مالك، عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم أنه قال: «يُرْسِلُ اللهُ تَعَالَى البُكَاءَ عَلَى أَهْلِ النَّارِ، فَيَبْكُونَ حَتَّى تَنْقَطِعَ الدُّمُوعُ، ثُمَّ يَبْكُونَ الدَّمَ حَتَّى يُرَى فِي وُجُوهِهِمْ كهيئة الأخدود»[٩]

وذكر البغوي حديثين عن أنس بن مالك – رضي الله – عنهم، لتوضيح معنى الآية عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "وَلَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا"[١٠]

---

(١) تفسير الطبري :٦٠٥/١١ -٦٠٦

(٢) والحديث أخرجه البخاري – صحيح البخاري – كتاب الرقاق – بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا»١٠٢/٨ – حديث رقم٦٤٨٥، عن أبي هريرة – رضي الله عنه –والترمذي – سنن الترمذي – أبواب الزهد – بَابٌ فِي قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً١٤٥/٤– ١٤٦– حديث رقم ٢٣١٣ – عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال الترمذي: هذا حديث صحيح

(٣) تفسير الطبري: ٦٠٦/١١– ٦٠٧

(٤) المرجع السابق: ٦٠٦/١١

(٥) تفسير الطبري: ٦٠٧/١١، وابن أبي حاتم ١٨٥٥/٦

(٦) سورة المطففين: الآية ٢٩

(٧) تفسير الطبري: ٦٠٧/١١ ، والآية من سورة المطففين: الآية ٣٦

(٨) تفسير الطبري: ٦٠٥/١١

(٩)بحر العلوم: ٦٥/٢– ٦٦، والحديث أخرجه ابن ماجه – سنن ابن ماجه – أبواب الزهد – باب صفة النار –٣٧٤/٥–٣٧٥ – حديث رقم ٤٣٢٤ وقال ابن ماجه : حديث صحيح لغيره

(١٠) سبق تخريجه

مجلة كلية الآداب بالوادي الجديد- مجلة علمية محكمة- إبريل ٢٠٢٣

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ سَمِعَتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ ابْكُوا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِيعُوا فَتَبَاكَوْا، فَإِنَّ أَهْلَ النَّارِ يَبْكُونَ فِي النَّارِ حَتَّى تَسِيلَ دُمُوعُهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ كَأَنَّهَا جَدَاوِلُ، ثُمَّ تَنْقَطِعُ الدُّمُوعُ، فَتَسِيلُ الدِّمَاءُ فَتَقَرَّحُ الْعُيُونُ، فَلَوْ أَنَّ سُفُنًا أُجْرِيَتْ فِيهَا لَجَرَتْ"(١)

مما سبق نستنتج أن الربيع بن خثيم اتفق في تفسير الآية مع ابن عباس، وأبي رزين، وقتادة، والحسن، وابن زيد.

الموضع الحادي عشر

قال تعالى: { وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗۖ وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ}(٢).

نقل ابن أبي حاتم في تفسيره القراءة عن الربيع بن خثيم حيث قال: عَنْ أَبَانٌ بْنُ تَغْلِبَ قَالَ: كَانَ الرَّبِيعِ بْنُ خثيم يقرأ هَذَا الحرف في النحل { وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗۖ} ويقرأ في العنكبوت (٣){لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ غُرَفٗا } ويقول: التنبؤ في الدُّنْيَا والثواء في الآخرة . (٤)

وقرأ حمزة والكسائيّ وخلف{ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ } بثاء ساكنة، وتخفيف الواو من غير همز بعدها من" أثوى" على أنه مضارع من «الثواء» يقال: أثواه بالمكان: أقامه به، وأنزل فيه.، الباقون بياء مفتوحة وتشديد الواو وهمزة مفتوحة بعدها من" بوّأ" على أنه مضارع من «التبوء» وهو الاقامة أيضا، يقال بوأه كذا اذا أنزل فيه، فالقراءتان متحدتان في المعنى .(٥)

ونقل ابن عطية أيضاً القراءة عن الربيع بن خثيم حيث قال: وقرأ الجمهور « لَنُبَوِّئَنَّهُمْ» وقرأ ابن مسعود ونعيم بن ميسرة والربيع بن خثيم وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب"لنثوينهم "وهاتان اللفظتان معناهما التقرير(٦) ، ذكر هنا قراءة الجمهور وابن مسعود ونعيم بن ميسرة وأمير المؤمنين علي ابن أبي طالب ، وهي نفس قراءة الربيع بن خثيم .

(١) تفسير البغوي: ٨٠/٤، والحديث أخرجه الألباني– سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيء على الأمة ٩٠٦/١٤– حديث رقم ٦٨٨٩– حديث ضعيف

(٢) سورة النحل: الآية ٤١

(٣) سورة العنكبوت: من الآية ٥٨ قوله تعالى: {لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ غُرَفٗا }

(٤) تفسير ابن أبي حاتم: ٢٢٨٤/٧

(٥)القراءات وأثرها في علوم العربية :٣٧٨/١،وانظر :الكنز في القراءات العشر: ص ٢١٦

(٦) المحرر الوجيز: ٣٩٤/٣

ذكر ابن عطية سبب الآية حيث قال: لما ذكر الله تعالى كفار مكة الذين أقسموا أن الله لا يبعث من يموت، ورد على قولهم، ذكر مؤمني مكة المعاصرين لهم، وهم الذين هاجروا إلى أرض الحبشة، هذا قول الجمهور، وهو الصحيح في سبب الآية؛ لأن هجرة المدينة لم تكن وقت نزول الآية.(١)

وقالت فرقة: نزلت الآية في أبي جندل بن سهيل.(٢)

قال القاضي أبو محمد: وهذا ضعيف، لأن أمر أبي جندل كان والنبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة.

وقالت فرقة: نزلت في عمار وصهيب وخباب وأصحابهم الذين أوذوا بمكة وخرجوا عنها، (٣) وقيل هم الذين كانوا محبوسين معذبين بعد هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكلما خرجوا تبعوهم فردّوهم منهم بلال، وصهيب، وخباب، وعن صهيب أنه قال لهم: أنا رجل كبير، إن كنت معكم لم أنفعكم، وإن كنت عليكم لم أضرّكم، فافتدى منهم بماله وهاجر، فلما رآه أبو بكر رضى الله عنه قال له: ربح البيع يا صهيب. وقال له عمر: نعم الرجل صهيب، لو لم يخف الله لم يعصه، وهو ثناء عظيم يريد لو لم يخلق الله ناراً لأطاعه، فكيف "فِي اللَّهِ "في حقه ولوجهه "حَسَنَةً "صفة للمصدر، أى لنبوأنهم تبوئة حسنة. (٤) وذكر الزمخشري قراءة علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – حيث قال: وفي قراءة على رضى الله عنه: لنثوّينهم(٥). ومعناه: أثوأة حسنة. وقيل: لننزلنهم في الدنيا منزلة حسنة، وهي: الغلبة على أهل مكة الذين ظلموهم، وعلى العرب قاطبة، وعلى أهل المشرق والمغرب، وعن عمر رضى الله عنه أنه كان إذا أعطى رجلاً من المهاجرين عطاء قال: خذ بارك الله لك فيه، هذا ما وعدك ربك في الدنيا، وما ذخر لك في الآخرة أكثر، وقيل: لنبوّأنهم مباءة حسنة وهي المدينة، حيث آواهم أهلها ونصروهم" لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ" الضمير للكفار، أى: لو علموا أنّ الله يجمع لهؤلاء المستضعفين في أيديهم الدنيا والآخرة، لرغبوا في دينهم، ويجوز أن يرجع الضمير إلى المهاجرين، أى: لو كانوا يعلمون ذلك لزادوا في اجتهادهم وصبرهم { ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ }(٦) .

{ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ } هم الذين صبروا، أو أعنى الذين صبروا، وكلاهما مدح، أى: صبروا على العذاب ، وعلى مفارقة الوطن الذي هو حرم الله المحبوب في كل قلب، فكيف بقلوب قوم هو مسقط رؤوسهم، وعلى المجاهدة وبذل الأرواح في سبيل الله.(٧)

(١) المرجع السابق: ٣/ ٣٩٤

(٢) تفسير ابن أبي حاتم :٢٢٨٣/٧، وانظر: المحرر الوجيز: ٣٩٤/٣

(٣) المحرر الوجيز: ٣٩٤/٣

(٤) الكشاف: ص ٥٧٣

(٥) المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات: ٩/٢

(٦) سورة النحل: الآية ٤٢

(٧) الكشاف: ص ٥٧٣

مما سبق نستنتج أن ابن عطية رجح قول الجمهور في سبب النزول؛ معللاً بأن هجرة المدينة لم تكن وقت نزول الآية. مع أن الزمخشري ذكر أن الَّذِينَ هاجَرُوا هم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، ظلمهم أهل مكة ففرّوا بدينهم إلى الله، منهم من هاجر إلى الحبشة ثم إلى المدينة فجمع بين الهجرتين. ومنهم من هاجر إلى المدينة.(١) ، وأن القاضي أبا محمد ضعف القول بأن الآية نزلت في أبي جندل بن سهيل بن عمرو، وذكر القراءات لتدعم سبب النزول.

وقرأ الجمهور « لَنُبَوِّئَنَّهُمْ» وقرأ ابن مسعود ونعيم بن ميسرة والربيع بن خثيم وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب.«لنثوينهم» وهاتان اللفظتان معناهما التقرير، فقالت فرقة: الحسنة عدة ببقعة شريفة كشف الغيب أنها كانت المدينة، وإليها كانت الإشارة بقوله "حَسَنَةً" وقالت فرقة: الحسنة لسان الصدق الباقي عليهم في غابر الدهر.

قال القاضي أبو محمد: وفي "لَنُبَوِّئَنَّهُمْ" أو «لنثوينهم» على هذا التأويل في لسان الصدق تجوز كثير واستعارة بعيدة، وهذا على أن "حَسَنَةً "هي المباءة والمثوى، وأن الفعل الظاهر عامل فيها. (٢)

وذكر مجاهد تفسير قوله قَوْلِهِ: لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً قَالَ: لنرزقنهم في الدُّنْيَا رزقًا حسنًا. (٣)

الموضع الثاني عشر:

قوله تعالى: {وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا } (٤)

نقل السمرقندي، والبغوي، والسيوطي عَن الرّبيع بن خَيْثَم قَالَ: لَيْسَ للنفساء عِنْدِي دَوَاء مثل الرطب وَلَا للْمَرِيض مثل الْعَسَل (٥) ، ونقل الشنقيطي عن الربيع بن خثيم حيث قال: وَقَدْ أَخَذَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ الكريمة أَنَّ خَيْرَ مَا تَطْعَمُهُ النُّفَسَاءُ الرُّطَبُ، قَالُوا: لَوْ كَانَ شَيْءٌ أَحْسَنَ لِلنُّفَسَاءِ مِنَ الرُّطَبِ لَأَطْعَمَهُ اللَّهُ مَرْيَمَ وَقْتَ نِفَاسِهَا بِعِيسَى، قَالَهُ الرَّبِيعُ بْنُ خُثَيْمٍ وَغَيْرُهُ. (٦)

ذكر السمرقندي، والنسفي والسيوطي في الدر المنثور معنى {رُطَبًا جَنِيًّا } يعني: طرياً. (٧) وقد نقل السيوطي معناً أخر عن ابن عباس – رضي الله عنه – حيث قال: عَن ابْن عَبَّاس فِي قَوْله: { تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا } قَالَ: بغباره . (٨)

(١) المرجع السابق

(٢)المحرر الوجيز: ٣/ ٣٩٤- ٣٩٥

(٣) تفسير ابن أبي حاتم: ٧/ ٢٢٨٤

(٤) سورة مريم: الآية ٢٥

(٥) بحر العلوم: ٣٢٢/٢، تفسير البغوي: ٢٢٧/٥، الدر المنثور: ٦١/١٠

(٦) أضواء البيان: ٣١٧/٤-٣١٨

(٧) بحر العلوم: ٣٢٢/٢، تفسير النسفي: ٣٣٢/٢، الدر المنثور :٥٩/١٠عن ابن عباس- رضي الله عنهما

(٨) الدر المنثور: ٥٩/١٠

وقد ذكر البغوي والخازن معناً أخر حيث قالوا: {رُطَبًا جَنِيًّا } مَجْنِيًّا. وَقِيلَ: الْجَنْيُ هُوَ الَّذِي بَلَغَ الْغَايَةَ، وَجَاءَ أَوَانَ اجْتِنَائِهِ.(١)

وقد ذكر السيوطي في الدر المنثور: أخرج ابْن أبي حَاتِم عَن أبي روق قَالَ: انْتَهَت مَرْيَم إِلَى جذع لَيْسَ لَهُ رَأس، فأنبت الله لَهُ رَأْسا، وَأنْبت فِيهِ رطبا، وبسراً ومدبياً، وموزاً، فَلَمَّا هزت النَّخْلَة، سقط عَلَيْهَا من جَمِيع مَا فِيهَا.

وَأخرج عبد الله بن أَحْمد فِي زَوَائِد الزّهْد عَن أبي قُدَّام قَالَ: أنبتت لِمَرْيَم نَخْلَة تعلق بهَا كَمَا تعلق الْمَرْأَة عِنْد الْولادَة. (٢)

وقد ذكر ابن كثير، والسيوطي أحاديث – وإن كان بعضها منكراً – تؤيد صحة قول الربيع بن خثيم تفسير الربيع بن خثيم حيث قَالَ: لَيْسَ للنفساء عِنْدِي دَوَاء مثل الرطب والأحاديث هي: عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَكْرِمُوا عَمَّتَكُمُ النَّخْلَةَ، فَإِنَّهَا خُلِقَتْ مِنَ الطِّينِ الَّذِي خُلِقَ مِنْهُ آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَلَيْسَ مِنَ الشَّجَرِ شَيْءٌ يُلَقَّح غَيْرُهَا".(٣)

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَطْعِمُوا نِسَاءَكُمُ الولدَ الرطَبَ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ رُطَبٌ فَتَمْرٌ، وَلَيْسَ مِنَ الشَّجَرَةِ شَجَرَةٌ أَكْرَمُ عَلَى اللَّهِ مِنْ شَجَرَةٍ نَزَلَتْ تَحْتَهَا مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ".(٤)

قال ابن كثير: هَذَا حَدِيثٌ مُنْكَرٌ جِدًّا، وَرَوَاهُ أَبُو يَعْلَى، عَنْ شَيْبَانَ، بِهِ. (٥) وأضاف السيوطي في الدر المنثور أحاديث أخرى عَن أبي سعيد الْخُدْرِيّ قَالَ: سَأَلنَا رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم مماذا خلقت النَّخْلَة قَالَ: خلقت النَّخْلَة وَالرُّمَّان وَالْعِنَب من فضل طِينَة آدم عَلَيْهِ السَّلَام (٦)

وَأخرج ابْن عَسَاكِر عَن سَلمَة بن قيس قَالَ: قَالَ رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم:" أطعموا نساءكم فِي نفاسهن التَّمْر؛ فَإِنَّهُ من كَانَ طعامها فِي نفَاسهَا التَّمْر خرج وَلَدهَا ولدا حَلِيمًا، فَإِنَّهُ كَانَ طَعَام مَرْيَم، حَيْثُ ولدت عِيسَى، وَلَو علم الله طَعَاما هُوَ خير لَهَا من التَّمْر لأطعمها إِيَّاه".(٧)

---

(١) تفسير البغوي: ٢٢٧/٥، تفسير الخازن: ١٨٥/٣

(٢) الدر المنثور: ٥٩/١٠

(٣) أخرجه الألباني – سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيء على الأمة – ٤٢٨/١– جزء من حديث رقم ٢٦٣ وقال الألباني: حديث موضوع

(٤) تفسير ابن كثير :٢٢٥/٥، الدر المنثور: ٦٠/١٠، والحديث أخرجه الألباني – سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيء على الأمة – ١/ ٤٢٨–جزء من حديث رقم ٢٦٣ وقال الألباني: حديث موضوع

(٥) تفسير ابن كثير :٢٢٥/٥

(٦) أخرجه الألباني – سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيء على الأمة – ٤٢٧/١–٤٢٨–حديث رقم ٢٦٢ وقال الألباني: حديث ضعيف جداً

(٧)أخرجه الألباني – سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيء على الأمة – ١/ ٤٠٧–حديث رقم ٢٣٤ وقال الألباني: حديث موضوع

وَأخرج عبد بن حميد عَن شَقِيق قَالَ: لَو علم الله أَن شَيْئا للنفساء خير من الرطب لأمر مَرْيَم بِهِ. وَأخرج عبد بن حميد عَن عَمْرو بن مَيْمُون قَالَ لَيْسَ للنفساء خير من الرطب أَو التَّمْر وَقَالَ: إِن الله قَالَ: {وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا }. (١)

ونقل النيسابوري: قالوا: إذا عسر ولادة المرأة لم يكن لها خير من الرطب، والتمر للنفساء عادة من ذلك الوقت وكذا التحنيك. والمراد أنه جمع لها فائدتان في السري والرطب: **إحداهما** الأكل والشرب وقدم الأكل مع أن ذكر السري مقدم؛ لأن احتياج النفساء إلى أكل الرطب أشد من احتياجها إلى شرب الماء، لكثرة ما سال من الدماء، **والثانية** سلوة الصدر لكونهما معجزين لزكريا أو إرهاصاً لعيسى أو كرامتين لمريم وأشار إلى هذه بقوله: قال تعالى: { وَقَرِّي عَيۡنٗاۖ } (٢) ؛ لأن قرّة العين تلزم قوة القلب والتسلي من الهموم والأحزان.(٣)

مما سبق نستنتج أن الربيع بن خثيم قد فسر الآية بنحو قريب مما ذكره بعض المفسرين كما سبق، وإن كان الربيع أخذ من الآية ما يدل على فضل الرطب للنفساء كدواء، وهو ما دلت عليه بعض الأحاديث وإن كان بعضها منكراً، كما بينا.

الموضع الثالث عشر:

قال تعالى: { هُوَ ٱلَّذِي يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِۚ وَلَهُ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ}.(٤) نقل البغوي، والقرطبي، وابن كثير عن الربيع بن خثيم وَ" أَهْوَنُ" بِمَعْنَى هَيِّنٍ، أَيِ الْإِعَادَةُ هَيِّنٌ عَلَيْهِ، قَالَهُ الرَّبِيعُ بْنُ خُثَيْمٍ وَالْحَسَنُ. فَأَهْوَنُ بمعنى هين، لأنه ليس شيء أهون على الله من شيء.(٥)

وَقَالَ الرَّبِيعُ بْنُ خُثَيْمٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى:" وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ" قال: ما شيء عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ. (٦)

وقد ذكر الرازي تفسيراً للآية حيث قال : وهو الذي يبدؤا الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه أي في نظركم الإعادة أهون من الإبداء ؛ لأن من يفعل فعلاً أولاً يصعب عليه، ثم إذا فعل بعد ذلك مثله يكون أهون، وقيل المراد هو هين عليه كما قيل في قول القائل الله أكبر أي كبير، وقيل المراد هو أهون عليه أي الإعادة أهون على الخالق من الإبداء لأن في البدء يكون علقة ثم مضغة ثم لحماً ثم عظماً ثم يخلق بشراً ثم يخرج طفلاً يترعرع إلى غير ذلك فيصعب عليه ذلك كله، وأما في الإعادة فيخرج بشراً سوياً بكن فيكون أهون عليه، والوجه الأول أصح ، ويقول الرازي وعليه نتكلم فنقول هو أهون يحتمل أن يكون ذلك لأن في البدء خلق الأجزاء وتأليفها والإعادة تأليف ولا شك أن الأمر الواحد أهون من أمرين ولا يلزم من هذا أن يكون غيره فيه

(١) الدر المنثور: ١٠/ ٦٠ -٦١

(٢) سورة مريم: من الآية ٢٦

(٣) تفسير النيسابوري: ٤٨٠/٤

(٤) سورة الروم الآية ٢٧

(٥) تفسير البغوي :٢٦٧/٦، تفسير القرطبي :١٦/ ٤١٧، تفسير ابن كثير :٣١٢/٦

(٦) تفسير الطبري: ٤٨٥/١٨، تفسير البغوي :٢٦٧/٦، تفسير القرطبي: ٤١٩/١٦

صعوبة، ولنبين هذا فنقول الهين هو ما لا يتعب فيه الفاعل، والأهون ما لا يتعب فيه الفاعل بالطريق الأولى [١].

مما سبق يتضح لنا أن الرازي رجح الرأي الأول ، "وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ": أَيْ: أَيْسَرُ . [٢]

وقد ذكر الشوكاني قولاً أخر لابن عباس – رضي الله عنهما – وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ قَالَ: الْإِعَادَةُ أَهْوَنُ عَلَى الْمَخْلُوقِ، لِأَنَّهُ يَقُولُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كُنْ فَيَكُونُ، وَابْتَدَأَ الْخِلْقَةَ مِنْ نُطْفَةٍ، ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ، ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ.[٣]

وذكر البغوي والقرطبي توجيهاً لقوله تعالى:" وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ" وَوَجْهُهُ أَنَّهُ عَلَى طَرِيقِ ضَرَبِ الْمَثَلِ أَيْ: هُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ عَلَى مَا يَقَعُ فِي عُقُولِكُمْ، فَإِنَّ الَّذِي يَقَعُ فِي عُقُولِ النَّاسِ أَنَّ الْإِعَادَةَ تَكُونُ أَهْوَنَ مِنَ الْإِنْشَاءِ، أي: الابتداء [٤] .

ولقد ذكر ابن كثير حديثاً على تفسير الآية وقال الْبُخَارِيُّ : حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، أَخْبَرَنَا أَبُو الزِّنَادِ ،عَنِ الْأَعْرَجِ ،عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ،عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسلم قال :قَالَ اللَّهُ: كَذَّبَنِي ابْنُ آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، وَشَتَمَنِي وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، فَأَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ: لَنْ يُعِيدَنِي كَمَا بَدَأَنِي ، وَلَيْسَ أَوَّلُ الْخَلْقِ بِأَهْوَنَ عَلِيَّ مِنْ إِعَادَتِهِ. وَأَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ: اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا، وَأَنَا الْأَحَدُ الصَّمَدُ، الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ». [٥]

مما سبق نستنتج أن تفسير الربيع بن خثيم لقوله تعالى (وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ) يتفق مع تفسير ابن عباس.

الموضع الرابع عشر

قوله تعالى: {قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا } . [٦] نقل سفيان الثوري عن الربيع بن خثيم في تفسيره حيث قال: عَنْ أَبِي رُزَيْنٍ قال: قرأ الربيع بن خيثم هذه الآية {قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا } قال، بينهم وبين ذلك القليل[٧] .

---

(١) تفسير الرازي: ١١٧/٢٥-١١٨

(٢) انظر : تفسير البغوي ٦/ ٢٦٧ ، عن مجاهد وعكرمة ،تفسير القرطبي : ٤١٨/١٦ ، عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة والضحاك ،، تفسير ابن كثير : ٣١١/٦ ، عن ابن عباس ، فتح القدير: ص ١١٣٢، عن ابن عباس – رضي الله عنهما-

(٣) فتح القدير: ص ١١٣٢

(٤) تفسير البغوي: ٢٦٧/٦ – ٢٦٨، تفسير القرطبي: ٤١٨/١٦

(٥) تفسير ابن كثير: ٣١١/٦، والحديث أخرجه البخاري – صحيح البخاري – كتاب تفسير القرآن – بَابُ قَوْلِهِ: (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) ١٨٠/٦ حديث رقم ٤٩٧٤

(٦) سورة الأحزاب: الآية ١٦

(٧) تفسير سفيان الثوري: ص ٢٤١

ونقل ابن أبي حاتم، والسيوطي عن الربيع بن خثيم رضي الله عنه في قوله: {وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا } قال: ما بينهم وبين الأجل(١)

ونقل ابن عطية عن الربيع بن خثيم بأنه قال: أمر الله تعالى نبيه في هذه الآية أن يخاطبهم بتوبيخ، فأعلمهم بأن الفرار لا ينجيهم من القدر، وأعلمهم أنهم لا يمتعون في تلك الأوطان كثيراً، بل تنقطع أعمارهم في يسير من المدة، و «القليل» الذي استثناه هي مدة الآجال. (٢)

جدير بالذكر أن البغوي ذهب إلى نفس ما ذهب إليه الربيع حيث قال: {قُلْ} لَهُمْ، { لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا } الَّذِي كُتِبَ عَلَيْكُمْ لِأَنَّ مِنْ حَضَرَ أَجَلُهُ مَاتَ أَوْ قُتِلَ، {وَإِذًا لَا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا} أَيْ: لَا تُمَتَّعُونَ بَعْدَ الْفِرَارِ إِلَّا مُدَّةَ آجَالِكُمْ وَهِيَ قَلِيلٌ.(٣)

وكذلك فسر الرازي الآية بنفس المعنى الذي ذكره الربيع بن خثيم حيث قال : وقوله: قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل إشارة إلى أن الأمور مقدرة لا يمكن الفرار مما وقع عليه القرار، وما قدره الله كائن فمن أمر بشيء إذا خالفه يبقى في ورطة العقاب آجلاً ولا ينتفع بالمخالفة عاجلاً، ثم قال تعالى: {وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا } كأنه يقول ولو فررتم منه في يومكم ، مع أنه غير ممكن ، لما دمتم بل لا تمتعون إلا قليلا ، فالعاقل لا يرغب في شيء قليل ، مع أنه يفوت عليه شيئاً كثيراً، فلا فرار لكم ولو كان لما متعتم بعد الفرار إلا قليلا.(٤)

مما سبق نستنتج أن البغوي والرازي متفقان مع الربيع بن خثيم في تفسيرهم للآية، بنفس المعنى الذي ذكرناه سابقاً.

الموضع الخامس عشر

قال تعالى: {فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ }(٥) نقل الثعلبي عن الربيع بن خثيم في تفسيره حيث قال: قال الربيع بن خثيم وابن زيد: {فَرَوْحٌ} عند الموت {وَرَيْحَانٌ} يخبأ له في الآخرة(٦)، وذكر الطبري عن الربيع بن خثيم: {وَرَيْحَانٌ} قال: «يجاء له من الجنة»(٧)

وكذلك نقل الشوكاني عن الربيع بن خثيم نفس هذا المعنى بعبارة أخرى حيث قال : وَأَخْرَجَ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَأَحْمَدُ فِي الزُّهْدِ، وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ وَابْنُ الْمُنْذِرِ عَنِ الرَّبِيعِ بْنِ خُثَيْمٍ قال تعالى: {فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ

(١) تفسير ابن أبي حاتم :٣١٢١/٩، الدر المنثور :٧٥٥/١١

(٢) المحرر الوجيز: ٣٧٤/٤

(٣) تفسير البغوي: ٣٣٣/٦

(٤) تفسير الرازي: ٢٠١/٢٥

(٥) سورة الواقعة: الآية ٨٩

(٦) الكشف والبيان للثعلبي :٢٢٤/٩

(٧) تفسير الطبري: ٣٧٩/٢٢

ٱلْمُقَرَّبِينَ }[١] قَالَ: هَذَا لَهُ عِنْدَ الْمَوْتِ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ تُخَبَّأُ لَهُ الْجَنَّةُ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُ { وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ۞ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ }[٢] قَالَ: هَذَا عِنْدَ الْمَوْتِ {وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ } [٣] قَالَ:تُخَبَّأُ لَهُ الْجَحِيمُ إلى يوم يبعث.[٤]

ونقل أيضاً النيسابوري قراءة قوله تعالى: {فَرَوْحٌ} عن الربيع بن خثيم وغيره فَرَوْحٌ: راحة وبرد. وفي قراءة النّبيّ –صلى الله عليه وسلم – برواية عائشة، وقراءة ابن عباس، والحسن، وقتادة، والضحاك، والأشهب»، ونوح القاري، وبديل، وشعيب بن الحارث، وسليمان التيمي، والربيع بن خثيم، وأبي عمران، الجوني وأبي جعفر محمد بن علي، والفيّاض، {فروح} بضم الراء، أي: حياة لا موت بعدها.[٥]

واختلف في تفسير قوله تعالى: { فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ } فقال بعضهم: معنى ذلك: فراحة ومستراح ، عن ابن عباس، { فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ } يقول: «راحة ومستراح» .

وعن ابن عباس أيضا، قوله: {فأما إن كان من المقربين فروح وريحان} قال: " يعني بالريحان: المستريح من الدنيا " {وَجَنَّتُ نَعِيمٍ } يقول: «مغفرة ورحمة» [٦] ، وأضاف الشوكاني تفسير لابن عباس حيث قال : قَالَ: الرَّيْحَانُ: الرِّزْقُ.[٧]

وعن مجاهد، في قوله: { فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ } قال: «راحة» وقوله: وريحان قال: «الرزق»[٨] ، وزاد ابن كثير : وَعَنْ مُجَاهِدٍ: { فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ } : جَنَّةٌ وَرَخَاءٌ.[٩]

وعن سعيد بن جبير، في قوله: { فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ } قال: " الروح: الفرح، والريحان: الرزق "[١٠] ، وعن { فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ } قال: «تخرج روحه من جسده في ريحانة» . وعنه أيضاً قال: «ذلك في الآخرة،» فقال له بعض القوم قال: «أما والله إنهم ليرون عند الموت».[١١]

(١) سورة الواقعة: الآية ٨٨
(٢) سورة الواقعة: ٩٢-٩٣
(٣) سورة الواقعة: الآية ٩٤
(٤) فتح القدير: ص ١٤٥٣
(٥) ايجاز البيان عن معاني القرآن: ٨٠١/٢ -٨٠٢، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها :٣١٠/٢، والحديث سبق تخريجه
(٦) تفسير الطبري: ٣٧٦/٢٢- ٣٧٧، فتح القدير: ص ١٤٥٣
(٧) فتح القدير: ص ١٤٥٣
(٨) تفسير الطبري: ٣٧٧/٢٢، تفسير ابن كثير :٥٤٩/٧
(٩)تفسير ابن كثير :٥٤٩/٧
(١٠)تفسير الطبري: ٣٧٧/٢٢
(١١)المرجع السابق: ٣٧٨/٢٢ -٣٧٩

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن أبي جعفر، عن الربيع، عن أبي العالية، {فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ} [١] قال: «لم يكن أحد من المقربين يفارق الدنيا، والمقربون السابقون، حتى يؤتى بغصن من ريحان الجنة فيشمه، ثم يقبض»[٢]

وعن قتادة، { فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ } قال: " الروح: الرحمة، والريحان: يتلقى به عند الموت " [٣]

وعن الضحاك، يقول { فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ } " الروح: المغفرة والرحمة، والريحان: الاستراحة "[٤]

ورجح الطبري بعض هذه الأقوال حيث قال: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب عندي: قول من قال: عني بالروح: الفرح والرحمة والمغفرة، وأصله من قولهم: وجدت روحاً. إذا وجد نسيماً يستروح إليه من كرب الحر، وأما الريحان، فإنه عندي الريحان الذي يتلقى به عند الموت، كما قال أبو العالية والحسن، ومن قال في ذلك نحو قولهما؛ لأن ذلك الأغلب والأظهر من معانيه". [٥]

وزاد الثعلبي أقوالاً أخرى مثل: قال أبو بكر الوراق: الرّوح: النجاة من النار، والريحان: دخول دار القرار

وقال الترمذي: الروح: الراحة في القبر، والريحان: دخول الجنة.

وقال بسام بن عبد الله: الروح: السلامة، والريحان: الكرامة. وقيل: الروح: كشف الكروب، والريحان: غفران الذنوب. وقيل: الروح: الثبات على الإيمان، والريحان: نيل الأمن والأمان، وقيل: الروح تخفيف الحساب، والريحان: تضعيف الثواب. وقيل: الروح عفو بلا عتاب، والريحان: رزق بلا حساب.[٦]

وأضاف ابن كثير قول محمد بن كعب حيث قال: وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ: لَا يَمُوتُ أحدٌ مِنَ النَّاسِ حَتَّى يَعْلَمَ: أَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ هُوَ أَمْ مِنْ أَهْلِ النَّارِ؟[٧]

وذكر النيسابوري قولاً ما نصه «إنّ المؤمن إذا نزل به الموت يلقّى بضبائر[٨] الرّيحان من الجنّة فيجعل روحه فيها»[٩]

وقال ابن كثير: وَكُلُّ هَذِهِ الْأَقْوَالِ مُتَقَارِبَةٌ صَحِيحَةٌ، فَإِنَّ مَنْ مَاتَ مُقَرَّبًا حَصَلَ لَهُ جميعُ ذَلِكَ مِنَ الرَّحْمَةِ وَالرَّاحَةِ وَالِاسْتِرَاحَةِ، وَالْفَرَحِ وَالسُّرُورِ وَالرِّزْقِ الْحَسَنِ، {وَجَنَّةُ نَعِيمٍ}.

---

(١) سورة الواقعة: الآية ٨٨

(٢)تفسير الطبري: ٣٧٨/٢٢، الكشف والبيان: ٢٢٤/٩، تفسير ابن كثير :٥٤٩/٧

(٣) تفسير الطبري: ٣٧٨/٢٢

(٤)المرجع السابق: ٣٧٨/٢٢ –٣٧٩

(٥) المرجع السابق: ٢٢/ ٣٧٩

(٦)الكشف والبيان: ٢٢٤/٩–٢٢٥

(٧)تفسير ابن كثير :٥٤٩/٧

(٨)الضبائر: جماعات الناس. يقال: رأيتهم ضبائر أي جماعات في تفرقة (لسان العرب :٤٨٠/٤ مادة ضبر)

(٩) إيجاز البيان عن معاني القرآن :٢/ ٨٠٢ –٨٠٣، انظر الدر المنثور: ٢٤٢/١٤

وذكر ابن كثير حديثاً عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "يَقُولُ اللَّهُ لِمَلَكِ الْمَوْتِ: انْطَلِقْ إِلَى فُلَانٍ فَأْتِنِي بِهِ، فَإِنَّهُ قَدْ جَرَّبْتُهُ بِالسَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ فَوَجَدْتُهُ حَيْثُ أُحِبُّ، ائْتِنِي بِهِ فَلَأُرِيحَنَّهُ. قَالَ: فَيَنْطَلِقُ إِلَيْهِ مَلَكُ الْمَوْتِ وَمَعَهُ خَمْسُمِائَةٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، مَعَهُمْ أَكْفَانٌ وحَنُوط مِنَ الْجَنَّةِ، وَمَعَهُمْ ضَبَائِر الرَّيْحَانِ، أَصِلُ الرَّيْحَانَةِ وَاحِدٌ وَفِي رَأْسِهَا عِشْرُونَ لَوْنًا، لِكُلِّ لَوْنٍ مِنْهَا رِيحٌ سِوَى رِيحِ صَاحِبِهِ، وَمَعَهُمُ الْحَرِيرُ الْأَبْيَضُ فِيهِ الْمِسْكُ".وَذَكَرَ تَمَامَ الْحَدِيثِ بِطُولِهِ كَمَا تَقَدَّمَ .(١)

وقال الطبري: وأما الذين قرأوا ذلك بضم الراء فإنهم قالوا: الروح: هي روح الإنسان، والريحان: هو الريحان المعروف وقالوا: معنى ذلك: أن أرواح المقربين تخرج من أبدانهم عند الموت بريحان تشمه. وقال آخرون ممن قرأ ذلك بفتح الراء: الروح: الرحمة، والريحان: الريحان المعروف. (٢)

وقال ابن كثير: عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا سَمِعَتْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ: {فَرُوْحٌ وَرَيْحَانٌ} بِرَفْعِ الرَّاءِ.(٣) وَكَذَا رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ، وَالتِّرْمِذِيُّ، وَالنَّسَائِيُّ، مِنْ حَدِيثِ هَارُونَ -وَهُوَ ابْنُ مُوسَى الْأَعْوَرُ-بِهِ، وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ حَدِيثِهِ. وَهَذِهِ الْقِرَاءَةُ هِيَ قِرَاءَةُ يَعْقُوبَ وَحْدَهُ، وَخَالَفَهُ الْبَاقُونَ فقرؤوا: {فَرَوْحٌ} بفتح الراء.(٤)

مما سبق نستنتج أن معظم الآراء في تفسير قوله تعالى (فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ) تتفق مع تفسير الربيع بن خثيم في تفسيره للآية، والحق ما ذكره ابن كثير، وهو أن كل الأقوال في تفسير قوله تعالى (فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ) متقاربة؛ لأن الإنسان إن كان من المقربين فيحصل له عند الموت الراحة والرحمة والمغفرة والفرح والسرور والرزق الحسن.

الموضع السادس عشر

قَوْلِهِ تَعَالَى: { وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ } (٥)

نقل عبدالرزاق، والطبري، والبغوي، وابن الجوزي، والقرطبي، والخازن، وابن كثير، وابن عادل، عَنِ الرَّبِيعِ بْنِ خُثَيْمٍ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: { وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا } قَالَ: «مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ضَاقَ عَلَى النَّاسِ» (٦)

(١)تفسير ابن كثير :٥٤٩/٧، وانظر المطالب العالية – كتاب الفتوح – باب صفة البعث ٥٣٩/١٨ وما بعدها– حديث رقم ٤٥٥٨، إسناده مسلسل بالضعف، فالحديث ضعيف

(٢) تفسير الطبري: ٣٧٨/٢٢

(٣) أخرجه أبوداود – صحيح سنن أبي داود -كتاب الحروف والقراءات ٤٩٢/٢ – حديث رقم ٣٩٩١، وقال أبوداود: إسناده صحيح، والترمذي -أبواب القراءات – باب ومن سورة الواقعة ٥٥/٥ – حديث رقم ٢٩٣٨، وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، والنسائي – السنن الكبرى – كتاب التفسير – سورة الواقعة – قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَرُوْحٌ وَرَيْحَانٌ} ٢٨٧/١٠ – حديث رقم ١١٥٠٢

(٤) تفسير ابن كثير: ٥٤٩/٧

(٥) سورة الطلاق: الآيات ٢،٣

(٦) انظر: تفسير عبد الرزاق: ٣٢٣/٣، تفسير الطبري: ٢٣ / ٤٤، ٤٦، وتفسير البغوي: ١٥١/٨، زاد المسير: ص ١٤٤٥، تفسير القرطبي: ٤٣/٢١، تفسير الخازن: ٣٠٧/٤، تفسير ابن كثير: ١٤٦/٨، اللباب في علوم الكتاب: ١٩/ ١٥٧

ذكر المفسرون سبب نزول هذه الآية :زَعَمَ أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسلم – يُقَالُ لَهُ عَوْفُ بْنُ مَالِكٍ الْأَشْجَعِيُّ كَانَ لَهُ ابْنٌ، وَأَنَّ الْمُشْرِكِينَ أَسَرُوهُ فَكَانَ فِيهِمْ، وَكَانَ أَبُوهُ يَأْتِي رَسُولَ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فَيَشْكُو إِلَيْهِ مَكَانَ ابْنِهِ وَحَالِهِ التي هو بها وحاجته، فكان رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– يَأْمُرُهُ بِالصَّبْرِ وَيَقُولُ لَهُ: «إِنَّ اللَّهَ سَيَجْعَلُ لَكَ فَرَجًا» فَلَمْ يَلْبَثْ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَّا يَسِيرًا أَنِ انْفَلَتَ ابْنُهُ مِنْ أَيْدِي الْعَدُوِّ، فَمَرَّ بِغَنَمٍ مِنْ أَغْنَامِ الْعَدُوِّ فَاسْتَاقَهَا، فَجَاءَ بِهَا إِلَى أَبِيهِ ،وَجَاءَ مَعَهُ بِغِنًى قَدْ أصابه من المغنم، فَنَزَلَتْ فِيهِ هَذِهِ الْآيَةُ {وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ}[١]

وقوله: { وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا } يقول تعالى ذكره: من يخف الله فيعمل بما أمره به، ويجتنب ما نهاه عنه، يجعل له من أمره مخرجاً، بأن يعرفه بأن ما قضى فلا بد من أن يكون، وذلك أن المطلق إذا طلق، كما ندبه الله إليه للعدة، ولم يراجعها في عدتها حتى انقضت ثم تتبعها نفسه، جعل الله له مخرجاً فيما تتبعها نفسه، بأن جعل له السبيل إلى خطبتها ونكاحها، ولو طلقها ثلاثاً لم يكن له إلى ذلك سبيل.[٢]

ويقول أبو السعود في تفسيره: ومنْ يتقَ الله فطلقَ للسنةِ ولم يُضارَّ المعتدةَ ولم يُخرجها من مسكنِهَا واحتاطَ في الإشهادِ وغيرِهِ من الأمورِ { يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا } مما عَسَى يقعُ في شأنِ الأزواجِ من الغُمومِ والوقوعِ في المضايقِ ويفرجْ عنه ما يعتريهِ من الكُروبِ . [٣]

أقوال العلماء في تفسير هذه الآية:

بالنظر في أقوال العلماء في تفسير الآية نجد أن ما ذكروه لا يختلف كثيراً عما قاله الربيع، وإن اختلفت العبارات، بيد أن المعاني واحدة.

عن عبد الله بن مسعود ومسروق، في قوله: { وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا } قال: يعلم أنه من عند الله، وأن الله هو الذي يعطي ويمنع .[٤]

وعن ابن عباس، قوله: {وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا } يقول: نجاته من كل كرب في الدنيا والآخرة، { وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ }. [٥]

وعن عكرمة، { وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا } قال: من طلق كما أمره الله يجعل له مخرجا.[٦]

---

(١) انظر تفسير الطبري: ٢٣/ ٤٤ -٤٥، تفسير البغوي: ١٥١/٨، زاد المسير: ص ١٤٤٥، تفسير الخازن: ٣٠٧/٤، تفسير ابن كثير: ٨/ ١٤٧، تفسير الثعالبي: ٤٤٥/٥، اللباب في علوم الكتاب:١٥٧/١٩ -١٥٨ ، والآيات من سورة الطلاق: ٢ ،٣والحديث أخرجه الحاكم - المستدرك على الصحيحين كتاب التفسير – باب تفسير سورة الطلاق ٥٧٩/٢ – حديث رقم ٣٨٧٧، قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وانظر الدر المنثور :٥٣٩/١٤

(٢) تفسير الطبري: ٤٢/٢٣

(٣) تفسير أبي السعود: ٣٤٥/٥

(٤) تفسير الطبري: ٢٣ /٤٣، زاد المسير: ص ١٤٤٥

(٥) تفسير الطبري: ٤٣/٢٣، زاد المسير: ص ١٤٤٥، تفسير القرطبي: ٤٢/٢١، تفسير ابن كثير :١٤٦/٨، اللباب في علوم الكتاب :١٥٦/١٩

(٦) تفسير الطبري: ٤٤/٢٣، تفسير ابن كثير: ٨/ ١٤٦

وعن الضحاك، في قوله: { وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا } { وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا } [1] . قال: يعني بالمخرج واليسر، إذا طلق واحدة، ثم سكت عنها، فإن شاء راجعها بشهادة رجلين عدلين، فذلك اليسر الذي قال الله، وإن مضت عدتها ولم يراجعها، كان خاطباً من الخطاب، وهذا الذي أمر الله به، وهكذا طلاق السنة، فأما من طلق عند كل حيضة فقد أخطأ السنة، وعصى الرب، وأخذ بالعسر.[2]

وعن السدي، في قوله: { وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا } قال: يطلق للسنة، ويراجع للسنة. [3] وعن قتادة، {يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا } قال: من شبهات الأمور، والكرب عند الموت . [4]

وزاد البغوي عن عِكْرِمَةُ وَالشَّعْبِيُّ وَالضَّحَّاكُ: وَمَنْ يَتُقِ اللَّهَ فَيُطَلِّقْ لِلسَّنَةِ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا إِلَى الرَّجْعَةِ. كما زاد قول ابن مسعود حيث قال: قَالَ ابْنُ مَسْعُودٌ: "وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا" هُوَ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّهُ مِنْ قِبَلِ اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهُ رَازِقُهُ.[5]

وذكر ابن الجوزي قول ابن السائب في تفسير الآية حيث قال: ومن يتَّق الله بالصبر عند المصيبة، يجعل له مخرجاً من النار إلى الجنة، قاله ابن السائب.

وذكر أيضاً ابن الجوزي عن الزجاج حيث قال: يجعل له مخرجاً من الحرام إلى الحلال، قاله الزجاج.[6]

وَقِيلَ: الْمَخْرَجُ هُوَ أَنْ يُقَنِّعَهُ اللَّهُ بِمَا رَزَقَهُ، قَالَهُ عَلِيُّ بْنُ صَالِحٍ.

وَقَالَ الْكَلْبِيُّ: وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ بِالصَّبْرِ عِنْدَ الْمُصِيبَةِ. يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً مِنَ النَّارِ إِلَى الْجَنَّةِ.

وَقَالَ الْحَسَنُ: "مَخْرَجًا" مما نهى الله عَنْهُ.

وَقَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ: "مَخْرَجًا" مِنْ كُلِّ شِدَّةٍ.

وقال الْحُسَيْنُ بْنُ الْفَضْلِ: وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ فِي أَدَاءِ الْفَرَائِضِ، يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً من العقوبة.[7]

وقال ابن مسعود ومسروق: الآية على العموم.[8]

مما سبق نستنتج أن الأقوال كلها متقاربة، وتوافق نفس تفسير الربيع بن خثيم لهذه الآية، فالتقوى من العبد سبب لوجود المخرج – من الله – من كل ضائقة وكرب، في كل ما يلم بالإنسان من هموم وأحزان، وإن كان البعض خص الآية بالطلاق – كما سبق – لكن كما يقول الأصوليون: العبرة بعموم اللفظ.

(١) سورة الطلاق: من الآية ٤
(٢)تفسير الطبري: ٤٤/٢٣
(٣) تفسير الطبري: ٤٤/٢٣، زاد المسير: ص ١٤٤٥، تفسير ابن كثير: ٨/ ١٤٧
(٤) تفسير الطبري: ٤٦/٢٣، تفسير ابن كثير: ٨/ ١٤٧
(٥) تفسير البغوي: ١٥١/٨
(٦) زاد المسير: ص ١٤٤٥
(٧) تفسير القرطبي :٢١ / ٤٢ -٤٣، اللباب في علوم الكتاب: ١٥٦/١٩ -١٥٧
(٨) اللباب في علوم الكتاب :١٥٧/١٩

الموضع السابع عشر

قَوْلِهِ تَعَالَى: { إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ } [١]

نقل عبدالرزاق، والطبري، والثعلبي، والسمعاني، وابن كثير والثعالبي، والقنوجي عنِ الرَّبِيعِ بْنِ خُثَيْمٍ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: { إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ } قَالَ رُمِيَ بِهَا [٢]

وذكر الماوردي تفسيراً يحمل نفس المعنى السابق حيث قال: جمعت فألقيت ، ومنه كارة الثياب لجمعها ، وهو قول الربيع بن خثيم . [٣]

وقوله سبحانه: { إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ } هذه كلُّها أوصَافُ يومِ القيامةِ، وتكويرُ الشمسِ هو أن تُدَارَ كما يُدَارُ كَوْرُ العمامةِ ويُذْهَبُ بها إلى حيثُ شَاءَ الله تعالى . [٤]

ولقد اختلف أهل التأويل في تأويل قوله { إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ } عن ابن عباس، قوله: { إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ } يقول: أظلمت .[٥] ورواية أخرى عن ابن عباس وقتادة والضحاك ومجاهد : ذهبت .[٦]

ونقل الواحدي عن ابن عباس قولاً آخر حيث قال: قال ابن عباس: يكور الله الشمس، والقمر، والنجوم يوم القيامة في البحر، ثم يبعث عليها ريحًا، فتضربها فتصير ناراً.[٧]

وعن أبي صالح، في قوله: { إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ } قال: نكست . [٨] وعن أبي صالح في قول أخر: ألقيت.[٩]

وعن سعيد بن جبير، في قوله: { إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ } قال: غورت، وهي بالفارسية، كور تكور[١٠] ، ونقل الثعلبي عوّرت وهي بالفارسية كوريكرد.[١١]

---

(١) سورة التكوير: الآية ١

(٢) تفسير عبد الرزاق: ٣٩٦/٣، تفسير الطبري :١٣١/٢٤، تفسير الثعلبي: ١٣٦/١٠، تفسير السمعاني: ١٦٤/٦، تفسير ابن كثير: ٣٢٨/٨، تفسير الثعالبي: ٥٥٥/٥، فتح البيان: ١٥ /٩٣

(٣) النكت والعيون: ٢١١/٦

(٤) تفسير الثعالبي: ٥٥٥/٥

(٥) تفسير الطبري: ١٢٩/٢٤، تفسير الثعلبي: ١٣٦/١٠، تفسير ابن كثير :٣٢٨/٨، فتح البيان :٩٣/١٥

(٦) تفسير الطبري: ٢٤/ ١٢٩ –١٣٠، بحر العلوم :٤٥١/٣، عن ابن عباس والضحاك وعكرمة، تفسير الثعلبي :١٣٦/١٠، عن ابن عباس وقتادة، التفسير الوسيط للواحدي :٤٢٨/٤، عن مقاتل وقتادة والكلبي ومجاهد، تفسير ابن كثير: ٣٢٨/٨، عن مجاهد والضحاك وقتادة، تفسير الثعالبي :٥٥٥/٥ عن قتادة، فتح البيان: ٣/١٥، عن مقاتل وقتادة والكلبي

(٧) التفسير الوسيط للواحدي: ٤٢٨/٤

(٨) تفسير الطبري: ١٣٠/٢٤، تفسير الثعلبي: ١٣٦/١٠، النكت والعيون :٢١١/٦، تفسير ابن كثير :٣٢٨/٨

(٩) تفسير الطبري: ١٣١/٢٤

(١٠)انظر: تفسير الطبري: ١٣٠/٢٤، النكت والعيون: ٢١١/٦، تفسير ابن كثير :٣٢٨/٨

(١١) تفسير الثعلبي: ١٣٦/١٠

وقيل: لفت وجمعت، ومنه كور الْعِمَامَة، وَالْمعْنَى: أَنَّهَا لفت وجمعت وَطرح بهَا.(١)

وقد ذكر القنوجي حديثاً يدعم تكوير الشمس عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم " الشمس والقمر مكوران يوم القيامة " (٢)، قيل إنهما جمادان فإلقاؤهما في النار يكون سبباً لازدياد الحر في جهنم.(٣)

وقد رجح الطبري كل الأقوال التي ذهبت إلى أن كورت بمعنى رمى بها حيث قال: والصواب من القول في ذلك عندنا: أن يقال { كُوِّرَتْ } . كما قال الله جل ثناؤه. والتكوير في كلام العرب: جمع بعض الشيء إلى بعض، وذلك كتكوير العمامة، وهو لفها على الرأس، وكتكوير الكاره، وهي جمع الثياب بعضها إلى بعض، ولفها، وكذلك قوله: { إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ } إنما معناه: جمع بعضها إلى بعض، ثم لفت فرمي بها، وإذا فعل ذلك بها ذهب ضوءها. فعلى التأويل الذي تأولناه لكلا القولين اللذين ذكرت عن أهل التأويل وجه صحيح، وذلك أنها إذا كورت ورمي بها، ذهب ضوءها. (٤)

مما سبق نستنتج أن الأقوال كلها متقاربة في قوله تعالى { إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ } سواء كان معناها رمى بها ، أو ذهب ضوؤها واضمحل ، وقد رجح الطبري قول الربيع ابن خثيم ، الذي يتفق مع جل المفسرين .

الموضع الثامن عشر

قال تعالى: قوله: { وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ }(٥)

نقل الطبري، وابن كثير في تفسيرهما عن الربيع بن خثيم، { وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ }قال: خلا منه أهلها ، لم تحلب ولم تصر. (٦)

وَعِشَارُ يُقَالُ: نَاقَةٌ عُشَرَاءُ، وَنَاقَتَانِ عُشَرَاوَانِ، وَنُوقٌ عِشَارٌ وَعُشَرَاوَاتٌ، يُبْدِلُونَ مِنْ هَمْزَةِ التَّأْنِيثِ وَاوًا. وَقَدْ عَشَّرَتِ النَّاقَةُ تَعْشِيرًا: أَيْ صَارَتْ عُشَرَاءَ. وَقِيلَ: الْعِشَارُ: السَّحَابُ يُعَطَّلُ مِمَّا يَكُونُ فِيهِ – وَهُوَ الْمَاءُ– فَلَا يُمْطِرُ، وَالْعَرَبُ تُشَبِّهُ السَّحَابَ بِالْحَامِلِ. وَقِيلَ: الدِّيَارُ تُعَطَّلُ فَلَا تُسْكَنُ. وَقِيلَ: الْأَرْضُ الَّتِي يُعَشَّرُ زَرْعُهَا تُعَطَّلُ فَلَا تُزْرَعُ. وَالْأَوَّلُ أَشْهَرُ، وَعَلَيْهِ مِنَ النَّاسِ الأكثر.(٧)

قال ابن كثير: وَالْمَقْصُودُ أَنَّ الْعِشَارَ مِنَ الْإِبِلِ–وَهِيَ: خِيَارُهَا وَالْحَوَامِلُ مِنْهَا الَّتِي قَدْ وَصَلت فِي حَمْلِهَا إِلَى الشَّهْرِ الْعَاشِرِ،وَاحِدُهَا عُشَراء، وَلَا يَزَالُ ذَلِكَ اسْمُهَا حَتَّى تَضَعَ–قَدِ اشْتَغَلَ النَّاسُ عَنْهَا وَعَنْ كَفَالَتِهَا

(١) تفسير السمعاني: ١٦٤/٦
(٢) أخرجه البخاري – صحيح البخاري – كتاب بدء الخلق – باب صفة الشمس والقمر بحسبان ١٠٨/٤ – حديث رقم ٣٢٠٠
(٣) فتح البيان: ١٥ / ٩٣-٩٤
(٤) تفسير الطبري: ١٣١/٢٤
(٥) سورة التكوير: الآية ٤
(٦) تفسير الطبري: ١٣٤/٢٤، تفسير ابن كثير: ٣٣٠/٨
(٧) تفسير القرطبي: ٩٦/٢٢- ٩٧

وَالِانْتِفَاعِ بِهَا، بَعْدَ مَا كَانُوا أَرْغَبَ شَيْءٍ فِيهَا، بِمَا دَهَمهم مِنَ الْأَمْرِ الْعَظِيمِ المُفظع الْهَائِلِ، وَهُوَ أَمْرُ الْقِيَامَةِ وَانْعِقَادُ أَسْبَابِهَا، وَوُقُوعِ مُقَدِّمَاتِهَا.(١)

قال أهل التأويل: وَقَوْلُهُ: { وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ }قَالَ مُجَاهِدٌ وقتادة: عِشَارُ الْإِبِلِ. قَالَ مُجَاهِدٌ: { عُطِّلَتْ } تُرِكَتْ وسُيّبت.(٢)

وعن الحسن: { وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ } قال: سيبها أهلها فلم تصر، ولم تحلب، ولم يكن في الدنيا مال أعجب إليهم منها.(٣)

وقال الضحاك : : { وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ } يقول: لا راعي لها. (٤) وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: عُطِّلَتْ: عَطَّلَهَا أَهْلُهَا، لِاشْتِغَالِهِمْ بِأَنْفُسِهِمْ.(٥)

نستنتج مما سبق أن تفسير عطلت جاء بمعاني كلها متقاربة، وهو يؤيد ما ذهب إليه الربيع بن خثيم في تفسيره لهذه الآية على النحو الذي ذكرناه سابقاً.

الموضع التاسع عشر

نقل الطبري عن الربيع بن خثيم في تفسيره حيث قال: عن الربيع بن خثيم { وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَت } (٦) قال: أتى عليها أمر الله . قال سفيان، قال أبي: فذكرته لعكرمة، فقال: قال ابن عباس: حشرها: موتها حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن أبيه، عن أبي يعلى، عن الربيع بن خثيم، بنحوه.(٧)

وللعلماء في تفسير قوله تعالى: { وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَت } عدة معاني على النحو التالي :

قال بعضهم: بمعنى: ماتت.(٨)

وعن ابن عباس قال: حشر البهائم: موتها. وحشر كل شيء: الموت، غير الجن والإنس، فإنهما يوقفان يوم القيامة. (٩)

(١) تفسير ابن كثير: ٣٣٠/٨، وانظر تفسير الطبري: ٢٤ /١٣٤، التفسير الوسيط للواحدي: ٤٢٨/٤، تفسير البغوي :٣٤٦/٨، تفسير القرطبي: ٢٢/ ٩٥ ـ٩٦

(٢) تفسير الطبري: ١٣٥/٢٤

(٣) المرجع السابق نفسه

(٤) المرجع السابق نفسه

(٥) تفسير القرطبي: ٢٢/ ٩٦

(٦) سورة التكوير: الآية ٥

(٧) تفسير الطبري :١٣٦/٢٤

(٨) المرجع السابق: ١٣٥/٢٤-١٣٦

(٩) تفسير الطبري: ٢٤/ ١٣٦، تفسير البغوي: ٣٤٦/٨، تفسير القرطبي: ٢٢/ ٩٧

وعنه أَيْضًا قَالَ: يُحْشَرُ كل شي حَتَّى الذُّبَابُ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: تُحْشَرُ الْوُحُوشُ غَدًا: أَيْ تُجْمَعُ حَتَّى يُقْتَصَّ لِبَعْضِهَا مِنْ بَعْضٍ، فَيُقْتَصُّ لِلْجَمَّاءِ مِنَ الْقَرْنَاءِ، ثُمَّ يُقَالُ لَهَا كُونِي تُرَابًا فَتَمُوتُ. وَهَذَا أَصَحُّ مِمَّا رَوَاهُ عَنْهُ عِكْرِمَةُ.(١)

وقال آخرون: بل معنى ذلك: وإذا الوحوش اختلطت.(٢) وقيل: بل معنى ذلك: جمعت. (٣) وعن قتادة، إن هذه الخلائق موافية يوم القيامة، فيقضي الله فيها ما يشاء. (٤)

وقال الطبري: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: معنى {حُشِرَت}: جمعت، فأميتت؛ لأن المعروف في كلام العرب من معنى الحشر: الجمع؛ ومنه قول الله { وَٱلطَّيۡرَ مَحۡشُورَةٗۖ } (٥) يعني: مجموعة. وقوله: {فَحَشَرَ فَنَادَىٰ} (٦) وإنما يحمل تأويل القرآن على الأغلب الظاهر من تأويله، لا على الأنكر المجهول.(٧)

مما سبق نستنتج أن الأقوال كلها متقاربة في قوله تعالى {حُشِرَت} وإن كان الأرجح ما ذهب إليه الطبري من أن الحشر – في لغة العرب – بمعنى الجمع، ثم الإماتة كما ذهب الربيع بن خثيم.

الموضع العشرون

قَوْلُهُ: {وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ سُجِّرَتۡ }(٨)

نقل ابن عطية وابن كثير في تفسيرهما عن الربيع ابن خثيم حيث قالا: قال الربيع بن خثيم معناه: ملئت، وفاضت وفجرت من أعاليها.(٩)

والواقع أن ثمة اختلافاً بين المفسرين في قوله تعالى { سُجِّرَتۡ } قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: أُوقِدَتْ فَصَارَتْ نَارًا تَضْطَرِمُ (١٠) وعنه أيضاً: جهنم في البحر الأخضر.(١١)

وَقَالَ مُجَاهِدٌ وَمُقَاتِلٌ: يَعْنِي فُجِّرَ بَعْضُهَا فِي بَعْضٍ، الْعَذْبُ وَالْمِلْحُ، فَصَارَتِ الْبُحُورُ كُلُّهَا بَحْرًا وَاحِدًا.(١٢)

---

(١) تفسير القرطبي: ٩٧/٢٢

(٢) تفسير الطبري: ١٣٦/٢٤، تفسير البغوي :٣٤٦/٨، عن أبي بن كعب

(٣) تفسير الطبري: ١٣٧/٢٤، وانظر: تفسير البغوي: ٣٤٦/٨، تفسير القرطبي: ٩٧/٢٢، عن الحسن وقتادة وغيرهما

(٤) تفسير الطبري: ١٣٧/٢٤

(٥) سورة ص: من الآية ١٩

(٦) سورة النازعات: الآية ٢٣

(٧) تفسير الطبري: ٢٤ /١٣٧

(٨) سورة التكوير: الآية ٦

(٩) المحرر الوجيز :٤٤١/٥، تفسير ابن كثير :٣٣٢/٨، ذكر ابن كثير فاضت فقط

(١٠) تفسير البغوي: ٣٤٦/٨، تفسير ابن كثير: ٣٣٢/٨، عن مجاهد والحسن بن مسلم

(١١) المحرر الوجيز: ٤٤٢/٥

(١٢) تفسير البغوي: :٣٤٦/٨ -٣٤٧

مجلة كلية الآداب بالوادي الجديد- مجلة علمية محكمة- إبريل ٢٠٢٣

وقَالَ الْكَلْبِيُّ: مُلِئَتْ، وَهَذَا أَيْضًا مَعْنَاهُ: " وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ " [١] وَالْمَسْجُورُ: الْمَمْلُوءُ، وَقِيلَ: صَارَتْ مِيَاهُهَا بَحْرًا وَاحِدًا مِنَ الْحَمِيمِ لِأَهْلِ النَّارِ.[٢]

وَقَالَ الْحَسَنُ: يَبِسَتْ، وَهُوَ قَوْلُ قَتَادَةَ، قَالَ: ذَهَبَ مَاؤُهَا فَلَمْ يَبْقَ فِيهَا قَطْرَةٌ.[٣]

وَقَالَ الضَّحَّاكُ أَيْضًا: { سُجِّرَتْ } فُجِّرَتْ. وَقَالَ السُّدِّيُّ: فُتِحَتْ وَسُيِّرَتْ.[٤]

وقال أبي بن كعب وابن عباس وسفيان ووهب وابن زيد: معناه: أضرمت ناراً كما يسجر التنور. [٥]

وسجرت أوقدت، قال القفال: وهذا التأويل يحتمل وجوهاً ، الأول: أن تكون جهنم في قعور البحار، فهي الآن غير مسجورة لقيام الدنيا، فإذا انتهت مدة الدنيا أوصل الله تأثير تلك النيران إلى البحار، فصارت بالكلية مسجورة بسبب ذلك والثاني: أن الله تعالى يلقي الشمس والقمر والكواكب في البحار، فتصير البحار مسجورة بسبب ذلك والثالث: أن يخلق الله تعالى بالبحار نيراناً عظيمة حتى تتسخن تلك المياه، وضعف الرازي هذه الوجوه، وذكر السبب حيث قال: "وأقول هذه الوجوه متكلفة لا حاجة إلى شيء منها؛ لأن القادر على تخريب الدنيا وإقامة القيامة لا بد وأن يكون قادراً على أن يفعل بالبحار ما شاء من تسخين، ومن قلب مياهها نيراناً من غير حاجة منه إلى أن يلقى فيها الشمس والقمر، أو يكون تحتها نار جهنم."[٦]

والصواب – في رأيي– ما ذهب إليه الرازي؛ ذلك لأن هذه الوجوه فيها نوع من التعسف في التأويل، وعدا ذلك فإن ما ذكره العلماء – ومنهم الربيع– يعد تفسيراً مقبولاً، والمعاني قريبة وإن اختلفت الألفاظ أو العبارات.

الموضع الحادي والعشرون

قَوْلِهِ تَعَالَى: { وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ }[٧]

قَالَ الرَّبِيعُ بْنُ خُثَيْمٍ فيما نقله الطبري والبغوي في تفسيرهما: يُحْشَرُ الرَّجُلُ مَعَ صَاحِبِ عَمَلِهِ.[٨]

ونقل ابن كثير أيضاً عن الربيع بن خثيم حيث قال: عَنْ مُجَاهِدٍ: { وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ }قَالَ: الأمثال من الناس جمع بَيْنَهُمْ. وَكَذَا قَالَ الرَّبِيعُ بْنُ خُثَيم وَالْحَسَنُ، وَقَتَادَةُ. وَاخْتَارَهُ ابْنُ جَرِيرٍ، وَهُوَ الصَّحِيحُ.[٩]

وللعلماء في تفسير هذه الآية أقوال:

(١) سورة الطور: الآية ٦

(٢) تفسير البغوي: ٣٤٧/٨، وانظر تفسير الرازي: ٦٩/٣١

(٣) تفسير البغوي: ٣٤٧/٨، المحرر الوجيز: ٤٤١/٥، عن الحسن والضحاك وقتادة، تفسير ابن كثير :٣٣٢/٨، عن الحسن والضحاك وقتادة

(٤) تفسير ابن كثير :٣٣٢/٨

(٥) المحرر الوجيز :٤٤١/٥-٤٤٢

(٦) تفسير الرازي: ٦٩/٣١

(٧) سورة التكوير: الآية ٧

(٨) تفسير الطبري: ١٤٣/٢٤، تفسير البغوي: ٣٤٧/٨

(٩) تفسير ابن كثير: ٣٣٢/٨-٣٣٣

ذكر الطبري في روايات متعددة عن النعمان بن بشير، عن عمر، رضى الله عنه {وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتۡ } قال: هما الرجلان يعملان العمل الواحد يدخلان به الجنة، ويدخلان به النار.(١)

وعن النعمان بن بشير، قال: سئل عمر بن الخطاب رضى الله عنه، عن قول الله: {وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتۡ} قال: يقرن بين الرجل الصالح مع الرجل الصالح في الجنة، وبين الرجل السوء مع الرجل السوء في النار.(٢)

وعن ابن عباس قال: ذلك حين يكون الناس أزواجا ثلاثة.(٣) ، وقد بين القرطبي الأزواج الثلاثة حيث قال: السَّابِقُونَ زَوْجٌ- يَعْنِي صِنْفًا- وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ زَوْجٌ، وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ زَوْجٌ.(٤)

وَعَنْ ابن عباس أَيْضًا قَالَ: زُوِّجَتْ نُفُوسُ الْمُؤْمِنِينَ بِالْحُورِ الْعِينِ، وقرن الكافر بِالشَّيَاطِينِ، وَكَذَلِكَ الْمُنَافِقُونَ.(٥)

وعن قتادة، قال: لحق كل إنسان بشيعته؛ الْيَهُودِ بِالْيَهُودِ وَالنَّصَارىُ بِالنَّصَارى.(٦) وهو نفس قول مجاهد حيث قال: الأمثال من الناس جمع بينهم. (٧) وعن عكرمة: قال: ردت الأرواح في الأجساد.(٨)

وعن الشعبي: قال: زوجت الأرواح الأجساد.(٩)

قَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ، وَعِكْرِمَةُ، وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، وَالشَّعْبِيُّ، وَالْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ أَيْضًا فِي قَوْلِهِ: {وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتۡ} أَيْ: زُوِّجَتْ بِالْأَبْدَانِ.(١٠)

وعَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: {وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتۡ } قَالَ: الضُّرَبَاءُ، كُلُّ رَجُلٍ مَعَ كُلِّ قَوْمٍ كَانُوا يَعْمَلُونَ عَمَلَهُ".(١١)

وقد رجح الطبري قول عمر بن الخطاب – رضي الله عنه –وذكر العلة التي اعتل بها حيث قال: وأولى التأويلين في ذلك بالصحة الذي تأوله عمر بن الخطاب رضى الله عنه؛ للعلة التي اعتل بها، وذلك قول الله

(١) تفسير الطبري: ١٤١/٢٤
(٢) تفسير الطبري: ١٤٢/٢٤، تفسير البغوي: :٣٤٧/٨، تفسير ابن كثير :٣٣٢/٨، الدر المنثور: ٢٦٤/١٥
(٣) تفسير الطبري: ١٤٣/٢٤
(٤) تفسير القرطبي: ٢٢/ ١٠٠ -١٠١
(٥)تفسير القرطبي :١٠١/٢٢، وانظر: تفسير البغوي: ٣٤٧/٨، عن عطاء ومقاتل، اللباب في علوم الكتاب :١٨٠/٢٠
(٦)تفسير الطبري: ١٤٣/٢٤، تفسير البغوي: ٣٤٧/٨، عن الحسن وقتادة ، تفسير القرطبي :٢٢/ ١٠١، عن الحسن
(٧) تفسير الطبري: ١٤٣/٢٤
(٨) تفسير الطبري: ١٤٤/٢٤، تفسير البغوي: ٣٤٨/٨، تفسير القرطبي: ٢٢ /١٠١، اللباب في علوم الكتاب: ١٨٠/٢٠
(٩) تفسير الطبري: ١٤٤/٢٤
(١٠) تفسير ابن كثير: ٣٣٣/٨
(١١)تفسير الطبري: ١٤٢/٢٤، تفسير القرطبي: ١٠٠/٢٢، تفسير ابن كثير: ٣٣٢/٨، اللباب في علوم الكتاب:٢٠ /١٨٠

تعالى ذكره: { وَكُنتُمۡ أَزۡوَٰجٗا ثَلَٰثَةٗ } [١] وقوله: { ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ } [٢]، وذلك لأن الأمثال والأشكال، في الخير والشر، وكذلك قوله: { وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتۡ} [٣] بالقرناء والأمثال في الخير والشر.[٤]

نستطيع القول بناءً على ما سبق، أن تفسير {وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتۡ} يدور بين معنيين، إما على الجمع بين الرجل والرجل إذا تشابها في العمل، إن كان خيراً فكلاهما في الجنة، وإن كان شراً يجمع بينهما في النار، وهذا ما ذهب إليه جل المفسرين – ومنهم الربيع، وهو ما رجحه الطبري، بخلاف ما ذهب إليه أصحاب المعنى الثاني، من الجمع بين الأرواح والأجساد أو الأبدان.

الموضع الثاني والعشرون

قوله: {وَإِذَا ٱلۡمَوۡءُۥدَةُ سُئِلَتۡ ۞ بِأَيِّ ذَنۢبٖ قُتِلَتۡ }.[٥] نقل الطبري في تفسيره عن الربيع بن خثيم قوله: {وَإِذَا ٱلۡمَوۡءُۥدَةُ سُئِلَتۡ} قال: كانت العرب من أفعل الناس لذلك[٦]

ونقل ابن عطية في تفسيره عن الربيع بن خثيم حيث قال: وقرأ ابن عباس وأبيّ بن كعب وجابر بن زيد وأبو الضحى ومجاهد، وجماعة كثيرة منهم ابن مسعود، والربيع بن خيثم: «سألت».[٧]

وقرأ الأعرج والحسن: «سيلت» بكسر السين وفتح اللام دون همز، ثم اختلف هؤلاء فقرأ أكثرهم: «قتلت» بفتح التاء وسكون اللام، وقرأ أبو جعفر: «قتّلت» بتشديد التاء[٨]، وقرأ ابن عباس وجابر وأبو الضحى ومجاهد: «قتلت» بسكون اللام وضم التاء.[٩]

والْمَوْؤُدَةُ سُئِلَتْ يعني الجارية التي دفنت، وهي حية سميت بذلك لما يطرح عليها من التراب، فيئدها، أي يثقلها حين تموت، وكانت العرب تفعل ذلك في الجاهلية. تدفن البنات حية مخافة العار، والحاجة، وروي عن ابن عباس قال: كانت المرأة في الجاهلية إذا حملت، وكان أوان ولادتها حفرت حفيرة، فتمخضت على رأس الحفيرة فإن ولدت جارية رمت بها في الحفيرة، وإذا ولدت غلاماً حبسته، وقيل كان الرجل في الجاهلية إذا ولدت له بنت، وأراد بقاءها حية ألبسها جبة صوف، أو شعر وتركها ترعى الإبل، والغنم في البادية، وإذا أراد قتلها تركها حتى تشب، فإذا بلغت قال لأمها طيبيها وزينيها حتى أذهب بها إلى أحمائها، وقد حفر بئراً في

(١) سورة الواقعة: الآية ٧

(٢) سورة الصافات: من الآية ٢٢

(٣) سورة التكوير: الآية ٧

(٤) تفسير الطبري: ٢٤ /١٤٥

(٥) سورة التكوير: الآيات ٨،٩

(٦) تفسير الطبري :١٤٨/٢٤

(٧) المحرر الوجيز: ٤٤٢/٥

(٨) الكنز في القراءات العشر: ص ٢٦١

(٩) المحرر الوجيز: ٤٤٢/٥

الصّحراء، فيبلغ بها البئر فيقول لها: انظري فيها، فإذا نظرت دفعها من ورائها، ويهيل عليها التراب حتى تستوي بالأرض، عن ابن مسعود قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم «الوائدة، والموءودة في النّار» [١].

اختلف القراء في قراءة ذلك، فقرأه أبو الضحى مسلم بن صبيح: { وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۞ بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَت } بمعنى: سألت الموءودة الوائدين: بأي ذنب قتلوها . [٢] فهذه القراءة اتفقت مع قراءة الربيع بن خثيم. وقرأ ذلك بعض عامة قراء الأمصار: {وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۞ بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَت} بمعنى: سئلت الموءودة بأي ذنب قتلت[٣]، ورجح الطبري قراءة (سئلت) بضم السين حيث قال: وأولى القراءتين في ذلك عندنا بالصواب: قراءة من قرأ ذلك {سئلت} بضم السين {بأي ذنب قتلت} على وجه الخبر؛ لإجماع الحجة من القراء عليه.[٤] وقرأ جمهور الناس: «سِئلت» وهذا على جهةِ التوبيخِ للعربَ الفاعلينَ ذلك. [٥]

واستدل ابن عباس بهذه الآية على أن أولاد المشركين في الجنة؛ لأن الله تعالى قد انتصر لهم ممن ظلمهم[٦]

مما سبق نستنتج أن ما ذهب إليه الربيع بن خثيم وغيره من المفسرين لم يكن تفسيراً للمعنى، بقدر ما هو إشارة إلى عادة العرب في الجاهلية، وهو ما عرف واشتهر آنذاك بوأد البنات، فمعنى الآية واضح بذاته لا يحتاج إلى تفسير.

الموضع الثالث والعشرون

قوله تعالى: {وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ۞ وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ }. [٧] نقل الطبري في تفسيره عن الربيع بن خثيم حيث قال: عن الربيع بن خثيم: {وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ۞ وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ } قال: إلى هذين ما جرى الحديث: فريق في الجنة، وفريق في السعير.[٨] وعن قتادة، :{وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ}: سعرها غضب الله، وخطايا بني آدم[٩]

(١) تفسير الخازن: ٣٩٨/٤، وانظر تفسير الثعالبي: ٥٥٦/٥، والحديث أخرجه أبو داود –صحيح سنن أبي داود – كتاب السنة – بَابٌ فِي ذَرَارِيِّ الْمُشْرِكِينَ ١٥٤/٣ حديث رقم ٤٧١٧

(٢) تفسير الطبري: ١٤٥/٢٤

(٣) المرجع السابق: ١٤٦/٢٤

(٤) المرجع السابق: ١٤٧/٢٤

(٥) المحرر الوجيز: ٤٤٢/٥، تفسير الثعالبي: ٥٥٦/٥

(٦) المحرر الوجيز: ٤٤٢/٥، تفسير الثعالبي: ٥٥٦/٥

(٧) سورة التكوير: الآيات ١٢، ١٣

(٨) تفسير الطبري: ١٥١/٢٤

(٩) تفسير الطبري: ١٥٠/٢٤، تفسير القرطبي: ٢٢/ ١٠٦

وَفِي التِّرْمِذِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (أُوقِدَ عَلَى النَّارِ أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى احْمَرَّتْ، ثُمَّ أُوقِدَ عَلَيْهَا أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى ابْيَضَّتْ، ثُمَّ أُوقِدَ عَلَيْهَا أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى اسْوَدَّتْ، فَهِيَ سَوْدَاءُ مُظْلِمَةٌ" وَرُوِيَ مَوْقُوفًا.(١)

يقول تعالى ذكره: وإذا الجحيم أوقد عليها فأحميت. (٢)، وقوله: {وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ } يقول تعالى ذكره: وإذا الجنة قربت وأدنيت .(٣)

قَالَ الْحَسَنُ: إِنَّهُمْ يُقَرَّبُونَ مِنْهَا؛ لأنها تَزُولُ عَنْ مَوْضِعِهَا. وَكَانَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زَيْدٍ يَقُولُ: زُيِّنَتْ: أُزْلِفَتْ؟ وَالزُّلْفَى فِي كَلَامِ الْعَرَبِ: الْقُرْبَةُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ }(٤)، وتزلف فلان تقرب.(٥)

مما سبق نستنتج أن الربيع لم يفسر { سُعِّرَتْ} و { أُزْلِفَتْ } كما فسرهما غيره على عادة المفسرين، من بيان معاني الألفاظ، وإنما ذكر الإشارة إلى المآل أو المصير، إما إلى الجنة أو النار.

الموضع الرابع والعشرون

قوله تعالى: {وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ }(٦)

نقل مجاهد، والبغوي في تفسيرهما عن الربيع بن خثيم حيث قالا:عَنِ الرَّبِيعِ بْنِ خُثَيْمٍ، فِي قَوْلِهِ: {وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ} قَالَ: «فَاضَتْ» . (٧)

وكذلك نقل ابن عطية، وأبو حيان، والسيوطي في الدر المنثور عن الربيع بن خثيم حيث قالوا: وقرأ مجاهد والربيع بن خيثم: «فجرت» بتخفيف الجيم.(٨)

ونقل أيضاً السمين الحلبي، وابن عادل في تفسيرهما عن الربيع بن خثيم حيث قالا: وقرأ مجاهد أيضاً والربيع ابن خُثَيْم والزعفرانيُّ والثوري مبنياً للمفعول مخففاً.(٩)

(١) تفسير القرطبي : ١٠٦/٢٢ -١٠٧ ، والحديث أخرجه الترمذي – سنن الترمذي – أبواب صفة جهنم – بَابٌ مِنْهُ٣٤١/٤ – حديث رقم ٢٥٩١، قال الترمذي : حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ فِي هَذَا مَوْقُوفٌ أَصَحُّ وَلاَ أَعْلَمُ أَحَدًا رَفَعَهُ غَيْرَ يَحْيَى بْنِ أَبِي بُكَيْرٍ عَنْ شَرِيكٍ.

(٢) تفسير الطبري: ١٥٠/٢٤

(٣) تفسير الطبري: ١٥٠/٢٤، وانظر: تفسير القرطبي: ٢٢/ ١٠٧، تفسير البيضاوي: ٢٩٠/٥

(٤) سورة الشعراء: الآية ٩٠

(٥) تفسير القرطبي: ١٠٧/٢٢

(٦) سورة الانفطار: الآية ٣

(٧) تفسير مجاهد: ص ٧١٠، تفسير البغوي: ٣٥٥/٨

(٨) المحرر الوجيز :٤٤٦/٥عن الربيع بن خثيم ومجاهد، البحر المحيط: ٤٢٧/٨، عن مجاهد وَالرَّبِيعُ بْنُ خَيْثَمٍ وَالزَّعْفَرَانِيُّ وَالثَّوْرِيُّ، الدر المنثور: ٢٨١/١٥، عن الربيع ابن خثيم فقط

(٩) الدر المصون: ١٠ /٧٠٩، اللباب في علوم الكتاب: ١٩٥/٢٠

قوله: { فُجِّرَتْ } : العامَّةُ على بنائِه للمفعول مثقَّلاً. وقرأ مجاهد مبنياً للفاعل مخففاً، من الفُجور، نظراً إلى قولِه: { بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ } [1]، فلمَّا زال البَرْزَخُ بَغَيا.[2]

و«تفجير البحار»: يحتمل أن يكون من امتلائها فتفجر من أعاليها وتفيض على ما وليها، ويحتمل أن يكون تفجير تفريع، ويحتمل أن يكون فيضانها، فيذهب الله ماءها حيث شاء.[3]

فُجِّرَ بَعْضُهَا فِي بَعْضٍ، وَاخْتَلَطَ الْعَذْبُ بِالْمِلْحُ، فَصَارَتْ بَحْرًا وَاحِدًا. [4]

قَالَ الْحَسَنُ: { فُجِّرَتْ }: ذَهَبَ مَاؤُهَا وَيَبِسَتْ، وَذَلِكَ أَنَّهَا أَوَّلًا رَاكِدَةٌ مُجْتَمِعَةٌ، فَإِذَا فُجِّرَتْ تَفَرَّقَتْ، فَذَهَبَ مَاؤُهَا.[5] و قَالَ الْكَلْبِيُّ: مُلِئَتْ.[6]

مما سبق نستنتج أن تفسير الربيع بن خثيم لقوله تعالى { فُجِّرَتْ } قريب من المعاني السابقة.

الموضع الخامس والعشرون

قوله تعالى: { وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ }[7]

نقل الطبري عن الربيع بن خثيم، قال: «ليسا بالثديين»[8] ، ونقل ابن كثير عن الربيع بن خثيم حيث قال: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ: { وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ} قَالَ: الثَّدْيَيْنِ. وَرُوِيَ عَنِ الرَّبِيعِ بْنِ خُثَيم، وَقَتَادَةَ، وَأَبِي حَازِمٍ، مِثْلُ ذَلِكَ.[9]

نلاحظ مما سبق أن الربيع بن خثيم فسر قوله تعالى: { وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ} مرة فسرها بالثديين ، ومرة أخرى فسرها بغير ذلك .

واختلف أهل التأويل في معنى ذلك، فقال بعضهم: عني بذلك: نجد الخير، ونجد الشر، كما قال: { إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا } . [10]

(١) سورة الرحمن: الآية ٢٠
(٢) الدر المصون: ٧٠٩/١٠، وانظر اللباب: ١٩٤/٢٠، ذكر قراءة مجاهد فقط
(٣) المحرر الوجيز: ٤٤٦/٥
(٤) تفسير البغوي: ٣٥٥/٨، المحرر الوجيز: ٤٤٦/٥، تفسير القرطبي: ١٢٠/٢٢، اللباب في علوم الكتاب :١٩٥/٢٠، تفسير أبي السعود :٤٩١/٥
(٥) تفسير القرطبي: ١٢٠/٢٢-١٢١، انظر: تفسير ابن كثير: ٣٤١/٨، تفسير أبي السعود: ٤٩١/٥
(٦) تفسير ابن كثير: ٣٤١/٨
(٧) سورة البلد: الآية١٠
(٨) تفسير الطبري :٤١٦/٢٤- ٤١٧
(٩) تفسير ابن كثير: ٤٠٥/٨
(١٠)تفسير الطبري :٤١٥/٢٤، والآية من سورة الإنسان: الآية ٣

عن عبد الله بن مسعود، وعكرمة، ومجاهد، والضحاك، والحسن { وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ} قال: سبيل الخير والشر. عن الحسن، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " هما نجدان: نجد خير، ونجد شر، فما جعل نجد الشر أحب إليكم من نجد الخير "؟[١] وعن ابن عباس : الهدى والضلالة . [٢]

ونقل السمرقندي تفسير الآية حيث قال: ويقال: { وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ} يعني: هديناه في الصغر لأحد الثديين، يعني: خلق له شفتين، ليأخذ بهما ثدي أمه.[٣]

قال البغوي: أَكْثَرُ الْمُفَسِّرِينَ: طَرِيقُ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَالْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَالْهُدَى وَالضَّلَالَةِ، كَقَوْلِهِ: { إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرا وَإِمَّا كَفُورًا } [٤]

وعن ابن عباس والضحاك في رواية أخرى ، { وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ}: هما الثديان [٥] ، ورجح الطبري تفسير من قال هما طريق الخير والشر حيث قال : وأولى القولين بالصواب في ذلك عندنا: قول من قال: عني بذلك طريق الخير والشر، وذلك أنه لا قول في ذلك نعلمه غير القولين اللذين ذكرناهما ، والثديان وإن كانا سبيلي اللبن، فإن الله تعالى ذكره إذ عدد على العبد نعمه بقوله: { إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ۞ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ}[٦] إنما عدد عليه هدايته إياه إلى سبيل الخير من نعمه، فكذلك قوله: { وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ} [٧]

وفي رأيي أن ما ذهب إليه الطبري هو الأرجح، فالنجدان يتضمنان كل ما هو طريق للهداية أو الضلال، أو الخير والشر، وليس المراد بهما الثديان، وهو ما ذهب إليه الربيع في أحد قوليه.

الموضع السادس والعشرون

قال تعالى: { قل هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۞ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ } . [٨]

قرأ عمر بن الخطاب وابن مسعود والربيع بن خيثم: «قل هو الله أحد الواحد الصمد».[٩]

(١) تفسير الطبري: ٢٤/ ٤١٥ –٤١٧، عن الثعلبي ومقاتل، وانظر تفسير ابن كثير: ٤٠٤/٨–٤٠٥، والحديث في الكامل في ضعفاء الرجال١١٩٣/٣، عن سنان بن سعد عن أنس

(٢) تفسير الطبري: ٤١٦/٢٤، بحر العلوم: ٤٨٠/٣، عن قتادة

(٣) بحر العلوم: ٤٨٠/٣

(٤) تفسير البغوي: ٤٣١/٨، والآية من سورة الإنسان: الآية ٣

(٥) تفسير الطبري: ٤١٩/٢٤

(٦) سورة الإنسان: الآيات ٢، ٣

(٧) تفسير الطبري: ٤١٩/٢٤

(٨) سورة الإخلاص: الآيات ١،٢

(٩) المحرر الوجيز: ٥٣٦/٥

وبالبحث في كتب القراءات وكتب التفسير لم أعثر على هذه القراءة (الواحد الصمد)، إلا في تفسير ابن عطية، لكن توجد قراءة { قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ} وقرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي «أحدٌ اللهُ» وقرأ أبو عمرو «أحدُ اللهُ» بضم الدال، ووصلها باسم الله. قال الزّجّاج: هو كناية عن ذكر الله عزّ وجلّ. والمعنى: الذي سألتم تبيين نسبته هو الله.

و «أحد» مرفوع على معنى: هو أحد، فالمعنى: هو الله، وقرئت «أحدٌ اللهُ الصمد» بتنوين أحد، وقرئت «أحد الله الصمد» بترك التنوين، وقرئت بإسكان الدال «أحدْ اللهُ» وأجودها الرفع بإثبات التنوين، وكُسِرَ التنوين لسكونه وسكون اللام في «الله»، ومن حذف التنوين، فلالتقاء الساكنين أيضاً، ومن أسكن أراد الوقف ثم ابتدأ «الله الصمد» وهو أردؤها.

فأما «الأحد» فقال ابن عباس، وأبو عبيدة: هو الواحد. وفرَّق قوم بينهما. وقال أبو سليمان الخطابي: الواحد: هو المنفرد بالذات، فلا يضاهيه أحد، والأحد: هو المنفرد بالمعنى، لا يشاركه فيه أحد. وأصل «الأحد» عند النحويين: الوحد، ثم أبدلوا من الواو الهمزة. (١)

مما سبق نستنتج أن الربيع وغيره – كما ذكرنا – قرأوا بقراءة لم أجد لها شاهداً في كتب القراءات، فهي قراءة غير مشهورة.

(١) زاد المسير: ص ١٦٠٢- ١٦٠٣

الخاتمة

بعد هذا العرض، أود أن أشير إلى أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال هذه الدراسة، والتي يمكن إجمالها على النحو التالي:

أولاً: يعتمد الربيع بن خثيم في تفسيره لبعض الآيات – شأنه في ذلك شأن غيره من المفسرين – على الفقه، والقراءات، وأسباب النزول، واللغة، والبلاغة.

ثانياً: يوجه بعض الأحاديث النبوية في تفسيره لبعض الآيات، سيما إذا تناولت هذه الأحاديث حكماً فقهياً، مثل حديث: "لا وصية لوارث "، فقد استدل به على عدم وجوب الوصية، لكن على سبيل الندب أو الاستحباب، سيما إذا كانت لأولي الأرحام.

ثالثاً: يتفق الربيع في كثير من الآراء مع كثير من المفسرين في تفسير بعض الآيات، على النحو الذي بيناه من خلال هذه الدراسة.

رابعاً: أحياناً ينفرد الربيع ببعض الآراء، مخالفاً بذلك غيره من المفسرين، كما ذكرنا ذلك – على سبيل المثال – في قوله تعالى: { وَعَلَّمَ ءَادَمَ الأسماء كُلَّهَا }، فجعل الربيع المراد بالأسماء أسماء الملائكة فقط ، دون دليل أو برهان ، رغم أن جل المفسرين على أن لفظ الأسماء يتناول أكثر من معنى . ولعل هذا ما يجعل رأيه – في نظري – ضعيفاً في بعض المواضع.

خامساً: أيضا ينفرد الربيع ببعض القراءات خلافاً للمشهور، كما بينا ذلك في قراءة قوله تعالى: (تؤتي الحكمة من تشاء).

التوصيات:

من خلال هذه الدراسة، أرجو أن أكون قد وفقت في الكشف عن شخصية مغمورة، من خلال جمع أقوال الربيع بن خثيم التفسيرية، ليكون ذلك دافعاً لغيري من الباحثين في البحث والتقصي عن شخصيات أخرى، سيما في علمي التفسير وكذلك الحديث، وما أكثر هذه الشخصيات، في تراثنا الإسلامي.

قائمة المصادر والمراجع:

١- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: لأبي السعود العمادي– تحقيق عبد القادر أحمد عطا – مكتبة الرياض الحديثة – الرياض.
٢- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن – للشنقيطي – إشراف بكر بن عبد الله أبوزيد – دار عالم الفوائد.
٣- أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي – إعداد وتقديم محمد عبد الرحمن المرعشلي – دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان.
٤- إيجاز البيان عن معاني القرآن – للنيسابوري –دراسة وتحقيق دكتور حنيف بن حسن القاسمي – دار الغرب الإسلامي – الطبعة الأولى ١٩٩٥.
٥- بحر العلوم: للسمرقندي – تحقيق وتعليق الشيخ علي محمد معوض وآخرون – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ – ١٩٩٣ م.
٦- البحر المحيط: لأبي حيان الأندلسي – دراسة وتحقيق وتعليق عادل أحمد عبد الموجود وآخرون– دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ – ١٩٩٣ م
٧- البداية والنهاية – لابن كثير – مكتبة المعارف – بيروت ١٤١٣هـ–١٩٩٢م.
٨- بغية الطلب في تاريخ حلب – لابن العديم –حققه وقدم له الدكتور سهيل زكار – دار الفكر – بيروت – لبنان.
٩- تاريخ الإسلام – شمس الدين الذهبي – تحقيق الدكتور عمر عبد السلام تدمري – دار الكتاب العربي – بيروت – الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ – ١٩٩٠ م.
١٠- تفسير سفيان الثوري – للإمام أبي عبد الله سفيان الثوري – تحقيق إمتياز علي عرشي – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ – ١٩٨٣ م.
١١- تفسير عبد الرزاق – لعبد الرزاق بن همام الصنعاني – دراسة وتحقيق دكتور محمود محمد عبده – منشورات محمد علي بيضون – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى ١٤١٩هـ–١٩٩م.
١٢- تفسير القرآن – للسمعاني – تحقيق الجزء الأول أبي تميم ياسر بن إبراهيم، وتحقيق الجزء السادس أبي بلال غنيم ابن عباس ابن غنيم– دار الوطن للنشر– الرياض– الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ– ١٩٩٧م.

١٣- تفسير القرآن العظيم: لابن أبي حاتم – تحقيق: أسعد محمد الطيب – إعداد مركز الدراسات والبحوث – مكتبة نزار مصطفى الباز – المملكة العربية السعودية الطبعة الأولى – ١٤١٧ هـ-١٩٩٧م.

١٤- تفسير القرآن العظيم: لابن كثير – تحقيق: سامي بن محمد السلامة – دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩.

١٥- تفسير مجاهد بن جبر – تحقيق الدكتور محمد عبد السلام أبو النيل –دار الفكر الإسلامي الحديثة – الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ-١٩٨٩م.

١٦- تقريب التهذيب – لابن حجر العسقلاني – حققه وعلق عليه ووضحه- وأضاف إليه أبو الأشبال صغير أحمد شاغف الباكستاني – تقديم بكر بن عبد الله أبوزيد – دار العاصمة للنشر والتوزيع.

١٧- تهذيب التهذيب – لابن حجر العسقلاني – دار الكتاب الإسلامي- القاهرة

١٨- جامع البيان عن تأويل أي القرآن: للطبري – تحقيق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر – الدكتور عبد السند حسن يمامة – الطبعة الأولى- القاهرة ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١ م، الجزء السابع فقط الطبعة الأولى ١٤٢٤ هـ-٢٠٠٣ م.

١٩- لجامع لأحكام القرآن: للقرطبي – حقق الجزء الأول، والثالث، والرابع، والحادي والعشرون الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي – شارك في تحقيقه محمد رضوان عرقسوسي – وحقق الجزء التاسع، والسادس عشر، والثاني والعشرون الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي وآخرون – مؤسسة الرسالة – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦ م

٢٠- لجواهر الحسان في تفسير القرآن: للثعالبي – حقق أصوله وعلق عليه وخرج أحاديثه الشيخ علي محمد معوض وآخرون – دار إحياء التراث العربي – مؤسسة التاريخ العربي – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ -١٩٩٧ م.

٢١- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون – للسمين الحلبي – تحقيق الدكتور أحمد محمد الخراط – دار القلم – دمشق.

٢٢- الدر المنثور في التفسير بالمأثور: للسيوطي – تحقيق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون –للبحوث والدراسات العربية والإسلامية الدكتور عبد السند حسن يمامة مركز هجر – الطبعة الأولى القاهرة ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣ م
٢٣- زاد المسير في علم التفسير: لابن الجوزي – المكتب الإسلامي – دار بن حزم للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى الجديدة ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢ م.
٢٤- سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيء في الأمة – تأليف محمد ناصر الألباني – مكتبة المعارف – الرياض – الجزء الرابع عشر الطبعة الأولى ١٤٢٥ هـ، الجزء الأول الطبعة الأولى للطبعة الجديدة ١٤١٢هـ – ١٩٩٢.
٢٥- سنن الترمذي :(الجامع الكبير) –حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه الدكتور بشار عواد معروف – دار الغرب الإسلامي – بيروت – الطبعة الأولى ١٩٩٦ م
٢٦- السنن الكبرى: للنسائي – قدم له الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي – أشرف عليه شعيب الأرنؤوط– حققه وخرج أحاديثه حسن عبد المنعم شلبي – مؤسسة الرسالة – الطبعة الأولى ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١م
٢٧- السنن – (سنن ابن ماجه) – حقق الجزء الخامس وضبط نصه وخرج أحاديثه وعلق عليه شعيب الأرنؤوط – محمد كامل قرة بللي – دار الرسالة العالمية – الطبعة الأولى ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩
٢٨- سير أعلام النبلاء – شمس الدين الذهبي –أشرف على تحقيق الكتاب وخرج أحاديثه شعيب الأرنؤوط – حقق الجزء الرابع مأمون الصاغرجي– مؤسسة الرسالة – الطبعة الثانية ١٤٠٢ هـ– ١٩٨٢ م
٢٩- سير السلف الصالحين – لأبي القاسم إسماعيل الأصبهاني – قرأه وعلق عليه محمد حسن محمد حسن إسماعيل – طارق فتحي السيد – منشورات محمد علي بيضون – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى ١٤٢٥ هـ– ٢٠٠٤ م
٣٠- السيرة النبوية لابن هشام – علق عليها، وخرج أحاديثها، وصنع فهارسها أ٠د عمر عبد السلام تدمري – دار الكتاب العربي – بيروت – الطبعة الثالثة ١٤١٠ هـ – ١٩٩٠ م
٣١- شرح مشكل الآثار – لأبي جعفر الطحاوي – حققه، وضبط نصه، وخرج أحاديثه، وعلق عليه شعيب الأرنؤوط – مؤسسة الرسالة –الطبعة الأولى ١٤١٥هـ – ١٩٩٤ م.

٣٢- صحيح البخاري (الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه)- تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر - دار طوق النجاة - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.

٣٣- صحيح سنن أبي داود - للإمام الحافظ سليمان بن الأشعث السجستاني - تأليف محمد ناصر الدين الألباني - مكتبة المعارف - الرياض - الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.

٣٤- صحيح مسلم - وقف على طبعه وتحقيق نصوصه وتصحيحه وترقيمه وعد كتبه وأبوابه وأحاديثه وعلق عليه ملخص شرح الإمام النووي، مع زيادات من أئمة اللغة خادم الكتاب والسنة محمد فؤاد عبد الباقي - الجزء الأول دار إحياء الكتب العربية - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - الجزء الثالث دار الحديث القاهرة الطبعة الأولى ١٤١٢هـ - ١٩٩١ م

٣٥- صفة الصفوة - لابن الجوزي - تحقيق خالد مصطفى طرطوس -دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢ م.

٣٦- الطبقات الكبير - لابن سعد - تحقيق الدكتور علي محمد عمر - مكتبة الخانجي بالقاهرة - الطبعة الأولى ١٤٢١هـ-٢٠٠١ م.

٣٧- غاية النهاية في طبقات القراء - لابن الجزري الدمشقي - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى ١٩٣٢ م.

٣٨- غرائب القرآن ورغائب الفرقان: للنيسابوري ضبطه وخرج آياته وأحاديثه: الشيخ زكريا عميرات- دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان الطبعة الأولى- ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م.

٣٩- فتح البيان في مقاصد القرآن- صديق حسن خان القنوجي- عنى بطبعه وقدم له وراجعه (المحقق) عبد الله إبراهيم الأنصاري- المكتبة العصرية- صيدا- بيروت- ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م.

٤٠- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير: للشوكاني- اعتنى به وراجع أصوله يوسف الغوش- دار المعرفة- بيروت - لبنان - الطبعة الرابعة ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م.

٤١- فن البلاغة – دكتور عبد القادر حسين – عالم الكتب – الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ- ١٩٨٤ م

٤٢- القراءات وأثرها في علوم العربية - دكتور محمد سالم محيسن - مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة ١٤٠٤هـ -١٩٨٤م.

٤٣- الكامل في ضعفاء الرجال - لابن عدي - تحقيق وضبط ومراجعة لجنة من المختصين بإشراف الناشر- دار الفكر- الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م.

٤٤- كتاب المصاحف – لأبي بكر عبد الله بن الأشعث السجستاني الحنبلي المعروف بابن أبي داود – دراسة وتحقيق ونقد دكتور محب الدين عبد السبحان واعظ– دار البشائر الإسلامية– الطبعة الثانية ١٤٢٣ هـ– ٢٠٠٢ م.

٤٥- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: للزمخشري – اعتنى به وخرج أحاديثه وعلق عليه خليل مأمون شيحا، وعليه تعليقات كتاب (الانتصاف) فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال (للإمام ناصر الدين ابن منير المالكي – دار المعرفة –بيروت – لبنان – الطبعة الثالثة ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩ م.

٤٦- الكشف والبيان: للثعلبي – دراسة وتحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور – مراجعة وتدقيق الأستاذ نظير الساعدي – دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠٢ م.

٤٧- الكنز في القراءات العشر – عبد الله بن عبد المؤمن ابن الوجيه الواسطي – تحقيق هناء الحمصي – منشورات محمد علي بيضون – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م.

٤٨- لباب التأويل في معاني التنزيل: (تفسير الخازن) – ضبطه وصححه عبد السلام محمد علي شاهين – منشورات محمد علي بيضون – دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان– الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ /٢٠٠٤م

٤٩- اللباب في علوم الكتاب – لابن عادل الدمشقي– تحقيق وتعليق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخرون – منشورات محمد علي بيضون – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ –١٩٩٨م.

٥٠- لسان العرب: ابن منظور – دار صادر بيروت.

٥١- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها – لأبي الفتح عثمان بن جني –تحقيق علي النجدي ناصف وآخرون–أعده للطبعة الثانية وقدم له محمد بشير الأدلبي – دار سركين ١٤٠٦هـ– ١٩٨٦ م.

٥٢- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: لابن عطية الأندلسي – تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد– منشورات محمد علي بيضون – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ. ٢٠٠١م.

٥٣- مدارك التنزيل وحقائق التأويل (تفسير النسفي) للنسفي – حققه وخرج أحاديثه يوسف علي بديوي – راجعه وقدم له محيي الدين ديب مستو – دار الكلم الطيب– بيروت – الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م.

٥٤- المستدرك على الصحيحين: للإمام النيسابوري رحمه الله تعالى – طبعة متضمنة انتقادات الذهبي رحمه الله تعالى وبذيله تتبع أوهام الحاكم التي سكت عليها الذهبي – لأبي عبد الرحمن مقبل بن هادي الوادعي – دار الحرمين – الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م.

٥٥- مسند الإمام أحمد بن حنبل – أشرف على تحقيقه شعيب الأرنؤوط – حقق الجزء السادس والثلاثين وخرج أحاديثه وعلق عليه شعيب الأرنؤوط وآخرون – مؤسسة الرسالة – الطبعة الأولى ١٤٢١هـ– ٢٠٠١م.

٥٦- مسند أبي داود الطيالسي – سليمان بن داود بن الجارود – تحقيق الدكتور محمد بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر – الطبعة الأولى ١٤٢٠ – ١٩٩٩م.

٥٧- المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية – لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني – تحقيق عبد القادر بن عبد الكريم بن عبد العزيز جوندل – تنسيق د سعد بن ناصر بن عبد العزيز الشثري– دار العاصمة – دار الغيث – المملكة العربية السعودية – الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠ م.

٥٨- معالم التنزيل: للبغوي – حققه وخرج أحاديثه: محمد عبد الله النمر وآخرون – دار طيبة – الطبعة الأولى الجزء الأول، والثالث ١٤٠٩ هـ – ١٩٨٩ م، الجزء الرابع، والخامس، والسادس ١٤١١هـ، الجزء الثامن ١٤١٢هـ.

٥٩- المعجم الأوسط للطبراني – تحقيق طارق بن عوض الله بن محمد – عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني – دار الحرمين ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ م ..

٦٠- مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) للرازي – دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – الطبعة الأولى ١٤٠١ هـ – ٩٨١ ١م

٦١- الموطأ للإمام مالك – صححه ورقمه وخرج أحاديثه وعلق عليه محمد فؤاد عبد الباقي – دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٥ م.

٦٢- النكت والعيون: للماوردي – راجعه وعلق عليه: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم – دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان – مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت – لبنان.